كرو

التعليم التونسي

[redacted]

كروم أبو القاسم محمد .

التحليل التن[redacted]

[redacted]

[redacted]

379.611
K188tA

منشورات

كتاب البعث

١

التعليم التونسي

بين الحاضر والمستقبل

ليس اخطر على أمة من ان تلبسها
مذهب أمة اخرى دون نظر الى طبيعتها
وحاجتها وحجمها وذوقها وروحها .
« توفيق الحكيم »

بقلم

أبو القاسم محمد كرّو

الطبعة الاولى

١٩٥٥

مطبعة الترقي ٨ شارع القاهرة - تونس

المقدمة

هذه محاضرة القيت في مدينة صفاقس يوم الاحد ١١ - ٩ - ٥٥ تحت اشراف « جمعية الاتحاد الصفاقسي الزيتوني » وبدعوة منهـا . ثم استعيدت في مدينة بنزرت يوم الجمعة ١٤ - ١٠ - ٥٥

ولا احسب انها بحاجة الى تقديم ، فهي تقدم نفسها ، وتتحدث بما فيها كما انها احتوت على « تمهيد » هو بمثابة المقدمة .

ومع ذلك ، اراني بحاجة الى التاكيد على افكار معينة وملاحظات بذاتها.

ان تأثر المرء بتربيته وثـقافته في تفكيره وسلوكه امر ثابت لا سبيل الى انكاره او تقليل اهميته . وليس الخطر في ان يتأثر الفرد بثقافة معينة او يـصدر في سلوكـه عنها ، وانما الخطر في ان يتحول ذلك التـأثر الى تعصب بغيض او جمود قاتل . وكلاهمـا شر ما يـصاب بـه تفكير الانسان في العصـر الحديث .

ونحن كشعب يريد ان يشق طريقه من جديد ، وان يعيد النظر في واقعه المنهار المضطرب ، بما احتوى عليه من تـناقض ونـقائص ، صنع بعضها عصر الظلام والانحطاط ، وصنع بعضها الآخر سرطان الاستعمار في العصر الحديث .. ينبغي على المسؤولين منا ، وعلى كل ذي رأي وتفكير ، ان يتجنب هـذا الشر : شر التعصب وشر الجمود .. وان يراعي كل فرد حقائق الشعب وحقائق العصر كي يقيم منهما توازنا هو الصراط الحكيم الذي يجدر بالعاقل المخلص ان لا يحيد عنه

واول شيء يجدر ان يتصف به الباحثون والمسؤولون ، في هذا الوقت بالذات هو : الصراحة ، وحسن النية . فنحن جميعا ابناء وطن واحد ، وكلنا تهمنا مصالحه ويقلقنا مصيره ، فلا ينبغي والحالة هذه ان يسيء احد الظن باخيه ، او يلتوي معه في القول والحديث ، فان ذلك انكى ما تصاب به الشعوب ، واقوى عثار يعرقل سيرها

واحرى ان لا يدعي الصواب او العصمة أحد ، فالحكمة ضالة المؤمن ان وجدها التـقتها . فليس كل خير في اتباع من سلف ، ولا كل خير في اتباع من خلف . والعكس صحيح ايضا .

ان بعضنا قد يخطىء في قول او عمل ، ولكن ينبغي ان لا نقيم عليه الارض ونقعدها لانه اخطأ .. اذ أننا ايضا نخطىء في القول ونرتكب الخطيئة بالعمل وما أروع كلمة المسيح عليه السلام عندما قال « من لم يرتكب منكم خطيئة

فليرمها بحجر » ! . فالتسامح والتواضع والقول بالمعروف وعن علم صحيح بالاشياء ، هي خير وابقى من التعصب والغرور والرجم بالغيب او بالجهل .

وما دام حديثنا عن مستقبل التعليم في بلادنا ، فينبغي ان نجاهر بان السير في تيار الآراء والبرامج الفرنسية خطر على شعبنا ، وعلى مثله العليا في الحياة ، وعلى كيانه وشخصيته . كذلك الادعاء بان الدين واللغة العربية سيضيعان اذا ابدلت برامج الزيتونة وتغير جهازها الحاضر ، ادّعاء جدير بالعقلاء المخلصين لدينهم ولغتهم ان لا يقولوه .

ان بعض الناس يحاجج بالاسلام ، ويعتصم به (نظريا فقط) ، كأننا لسنا مسلمين ، او نريد ان نفرط في تراثنا العظيم وارثنا الخالد الذي لم يترك مثله لامة اخرى او اتباع آخرين .

وبعض آخر جرفه تيار خاص . فلا يريد ان يفتح عينيه عما في العالم اليوم من تيارات اخرى ، قد يكون بعضها خيرا وأفضل مما يعتقد في صلاحه ونفعه .

فالتمسك بجوهر الماضي ، ومقومات ثقافتنا العربية ، ورسم اهداف تربوية رشيدة ، تحافظ على تراثنا وتنمي شخصيتنا ، وتعدنا لحياتنا وعصرنا ، هو خير منهاج نستوحي منه برامجنا ، ونهدف الى تحقيقه في اجيالنا .

وبعد .. لقد احتوت هذه المحاضرة محاولة شخصية وجهد فرد واحد لفهم تعليمنا الحاضر ورسم طريق المستقبل . وان العمل المنتظر لهو عمل جماعة مختصة ، تدعى للقيام بهذا الواجب . وان خير عمل تبدأ به هو ان تطلع على جهود الشعوب الاخرى ، سيما الشعوب العربية ، التي سبقتنا في نهضتها العلمية ، واكتسبت كثيرا من التجارب والخبرات . وانه لمما يسهل طريقنا ويعيننا على سرعة الانجاز والسير ان نستفيد بكل الخبرات والتجارب التي وصلت اليها الشعوب العربية ، وان نقتبس ما نحتاج اليه من اية امة اخرى ، فلا نحصر انفسنا في نطاق ثقافة معينة ، اصبحت اليوم تعاني ازمات شديدة ، ان لم نقل انها تسير نحو نهايتها .

وقد رأيت من الفائدة ان اضيف للمحاضرة ـ التي نشرت حرفيا كما القيت ـ بعض الملاحق التي تتضمن فصولا او احصاءات ذات علاقة وثيقة بالموضوع .

وعسى ان يجد القراء في كل ذلك بعض ما يعينهم على تكوين فكرة شاملة حول اوضاع التعليم الراهنة ، وما نريده لبلادنا في المستقبل .

تونس ١٥ / ١٠ / ٥٥ ابو القاسم محمد كرو

تمهيد

أيها المواطنون الاعزاء !

أود ان ابدأ حديثي بينكم بتوجيه الشكر والثناء الى جمعية (الاتحاد الصفاقسي الزيتوني) التي اتشرف الآن بالتكلم اليكم من فوق منبرها ، وتحت اشرافها ، وذلك الشكر والثناء ، لنشاطها وحيويتها ، ولوعيها وسداد اتجاهها ؛ حيث ان في اقتراحها بحث التعليم التونسي ، لدليلا عن تفكيرها الانشائي ، واهتمامها الواقعي بمشاكل شعبنا الراهنة . ولاشك ان عرض هذه المشاكل على بساط البحث والمناقشة ، لما يتيح للرأي العام من جهة ، وللمسؤولين من جهة اخرى ، فرصة الاطلاع على مختلف التيارات والآراء التي تدور حول تلك المشاكل نفسها .

وأود كذلك ان اوضح بعض الحقائق التي لابست عملي وجعلت له ظروفا خاصة عاقني أكثرها عن ان اتبع في حديثي هذا منهج بحث موضوعيا صرفا . أما تلك الحقائق فهي :

١ - غيابي الطويل عن وطننا الصغير - تونس الخضراء - الامر الذي حرمني من مسايرة التطورات التي حدثت في هذا الميدان ، سيما في التعليم المدرسي الذي لم اطلع حتى الآن على ما يضيء السبيل اضاءة تامة ، لفهم برامجه ونظمه فهما موضوعيا ، وكذلك لضبط غاياته واهدافه من الناحيتين التربوية والادارية

٢ - فقدان المراجع اللائقة ، بمثل هذا الموضوع ، وخاصة عن التعليم المدرسي . اذ المعروف في جميع الاقطار المتحضرة ، ان ادارات او وزارات المعارف فيها ، تصدر تقارير سنوية وكتبا ونشرات مختلفة ، حول سير التعليم فيها من جميع النواحي وعن كافة المراحل . غير ان ادارة المعارف عندنا لم تقم في هذا الميدان بشيء يذكر . اللهم الا بعض إحصاءات ناقصة ومشوهة ، وبعض كراريس ومنشورات أكثرها له صبغة اجراءات او أوامر ادارية . ومثل هذا

النقص يسبب ارهاقا شديدا لكل من يريد الأطلاع الواسع عن سير التعليم وتطوره في هذه البلاد . وبطبيعة الحال ، لا نستطيع هنا ان نقول شيئا اكثر من ان الاستعمار لم يات بلادنا ليعمّرها وينشر فيها الرخاء والعدل والحضارة ، كما يوهم بمعنى العمران اسمه ، وتغالط الناس دعاياته، بل هو مخرب ومفسد ، وعامل مثابر على محق الشعوب ، واذابة شخصيتها ومحو كيانها ، ليحل محلها ويستأثر بحق وجودها ومنابع خيراتها في ارضها . والتعليم هو من هذه الناحية اخطر الوسائل التي يعتمدها الاستعمار لبلوغ غاياته وتحقيق اغراضه ، كما سيتضح لنا ذلك بعد قليل

٣ ـ ضيق الوقت ، واسمحوا لي ان ادخل الوقت في جملة العوائق ، مع ان امره بيدي وزمامه في قبضتي كما يقولون . والواقع ، ان للوقت اهمية كبيرة في ملاحقة الموضوع من جوانبه كلها ، واستيعاب اكبر عدد من المراجع الضرورية له . فعندما اقترحت جمعيتكم ان القي محاضرة عن (التعليم التونسي في الحاضر والمستقبل) بينت لها ضيق الوقت عندي ، وكثرة ما تحت يدي من اعمال اخرى تأكل الوقت أكلا لما ، وتحصد من ايام عمري بلا رحمة ولا حساب . ثم قبلت فعلا الموضوع على امل ان يسعفني الوقت من جهة ، والمراجع من جهة ثانية بما يليق بمحاضرة في موضوع شائك خطير ، يحضر لاستماعه سادة فضلاء مثلكم .

ولكن ـ وما اقسى كلمة لكن ـ لكن لم انل رغبتي من كليهما . فلا الوقت أتاح لي فرصة العمل المنهجي المنظم ، ولا تمكنت من الحصول على المراجع التي تنير فهمي لدقائق المشاكل التعليمية وحقائقها ، وتمدني بالمعلومات الضرورية لعمل من هذا النوع ، فيه من الصعوبات والاخطار ما يغري المغامرين بالاقبال والاقتحام ، ويمد المتريثين والمجربين بحجج الابتعاد والانتظار .

غير أني مع ذلك ، سلكت طريقا وسطا ، وحاولت القيام بعمل معتدل . فيه من هذا وذاك ما يتيح لنا فهم المشاكل اجمالا ، وتبيان المستقبل في قواعده واهدافه ، دون تفاصيله وجزئياته . ولست ادري بعد ذلك مقدار ما سيكون من الصواب بجانبي ، ولكنني أعلم حسن نيتي وخلوص غايتي . والاعمال إنما توزن بنياتها ، وتحاسب على غاياتها .

نظرة عامة في تعليمنا الحاضر

من الواضح ان مؤسسات التعليم القائمة الآن، على اختلاف مراحلها الدراسية، هي من حيث تكوينها التاريخي تعود الى الانواع الاربعة التالية :

أ ـ مؤسسات قديمة جدا ، وعريقة في القدم ، وهذه تشمل جامع الزيتونة والزوايا والكتاتيب القرآنية .

ب ـ مؤسسات أحدثت في القرن التاسع عشر ، وبصفة خاصة قبل الاحتلال الاستعماري لبلادنا ، وقد أحدثت هذه المؤسسات قصد مسايرة الزمن ، والاخذ باسباب التقدم العلمي الذي بلغته الحضارة الغربية في ذلك الحين ، وقد بقى من هذا النوع الى ايامنا هذه المعهد الصادقي ، الذي اسسه الوزير المصلح خير الدين ليجعل منه نواة نهضة علمية حديثة في البلاد ، اما بقية المعاهد الاخرى فقد قضى عليها الاستعمار نهائيا .

ج ـ مؤسسات حديثة حرة للتعليم الابتدائي والثانوي ، احدثها الواعون من ابناء الشعب عند ما احسوا بخطر سياسة الاستعمار الثقافية على شعبهم فاندفعوا يكافحون غايات الاستعمار باسلوب عملي ، تمثل في المدارس القرآنية التي كانت جميعها حرة ثم اندمج اكثرها تحت ادارة المعارف ، بدافع مادي محض . ولا يوجد في هذا النوع من التعليم الثانوي سوى الخلدونية بتونس واللخمية بصفاقس .

د ـ مؤسسات رسمية ، وهذه احدثت بعد الاحتلال . ووضعت برامجها واهدافها في خدمة الاستعمار وسياسته الثقافية الخاصة بتونس وبقية اقطار المغرب العربي .

ولكي نفهم هذه المؤسسات فهما جيدا ، ينبغي ان نستعرض نشاطها التعليمي واثرها في حياة الشعب واهدافها التربوية .

الزوايا والكتاتيب

يمكن القول :بان الزوايا والكتاتيب تعيش الآن بساليب لا تختلف عما كانت عليه منذ اكثر من خمسمائة عام ، بل يمكن التأكيد بانها في وضعها الحالي هي اسوأ مما كانت عليه في القرون الاربعة الاولى من حياة الاسلام ، ذلك ان وضعها الحالي انما هو صورة حقيقية لما آل اليه امر التعليم في عصور الظلام والانحطاط التي عمت البلاد العربية منذ القرن السادس الهجري ؛ اي منذ بدأ امر العرب المسلمين بالتراجع في الاندلس والمغرب العربي ، وفي الشرق كله . واني لاعتبر هذه الزوايا والكتاتيب أشبه ما تكون بالهيكل العظمي الذي يبقى من الانسان بعد موته بسنوات ،اذ لا نجد فيها حياة علمية حقيقية ، فضلا عن ان توجه تلاميذها نحو الحياة او ان تعدهم لها اعدادا صالحا مفيدا . ولولا مزية واحدة استمرت تقدمها على ممر الاجيال ، وهي حفظها للقرآن وتعليمها إياه للناشئة جيلا بعد جيل ، رغم اسلوب تعليمه المزري وطريقة نقله السيئة الى الاذهان المستجدة ، لولا تلك المزية لقلت انها خطر على التعليم كبير ، وعنوان على الجهل والانحطاط ، اللذين لا يرضى بهما شعب مدرك لقيمته ، عامل لنهوضه . ولكن هل يجوز لنا ان نسكت عنها ، ونرضى على اوضاعها من اجل تلك المزية ؟ ألا يمكن تحقيق المزية نفسها بطرق اخرى في مدارس حديثة منظمة ، تحقق الغاية نفسها مع إعداد التلاميذ لما تعدهم له المدارس الحديثة الاخرى ؟ اعتقد ان ذلك ممكن. خصوصا وان هذا الصنف من المؤسسات لا يقدم شيئا يذكر الى جانب القرآن الكريم ، مما جعل تلاميذه اشبه بالببغاوات يرددون كلاما لا يفهمونه ولا يدركون من معانيه شيئا .

جامع الزيتونة

اذا كان الحق يقتضينا ان نقول بان جامع الزيتونة قد خطا الى الامام خطوات كبيرة شاسعة ، فان الحق ذاته يقتضينا ان نقول ايضا ، ان جامع الزيتونة

ما يزال في حاجة كبيرة الى ان يخطو خطوات اكثر جرأة واوسع مدى من كل ما خطاه حتى الآن .

لقد عالج كثيرون مشاكل الزيتونة ، وهناك مجلس يدعى مجلس اصلاح التعليم الزيتوني . وقد اتفق الجميع على ضرورة الاصلاح العاجل ... ولكن الاختلاف كبير في الرأي بين الجميع ايضا حول انواع الاصلاحات ودرجتها . ولعل اقربهم الى الحق واكثرهم وعيا بحقائق العصر هم الطلاب . وهذا طبيعي لانهم شباب من ناحية ، والشباب دائما اكثر جرأة واتصالا بالعصر ، ومن ناحية اخرى لان طلاب الزيتونة هم الذين يعانون مباشرة جميع مساوىء الوضع الراهن . فلا عجب ان كانوا اشد الحاحا وحرصا من غيرهم في المطالبة بالاصلاح العاجل الواسع المدى . وسياتي بيان ذلك بعد حين . اما الآن فاحب ان استعرض نشاط الزيتونة العلمي واثرها في حياة الشعب واهدافها التربوية .

اما عن نشاطها العلمي فهو محدود جدا من ناحيتين اساسيتين يقاس بهما جدوى كل نظام تعليمي ، وقيمة أية مؤسسة علمية . والناحيتان هما :

الاولى — الانتاج العلمي : ويشمل هذا التأليف والاكتشاف ، ونشر نظريات او ابحاث جديدة في التفكير او النتائج العلمية . والزيتونة من هذه الناحية مصابة بعقم مزمن ، اذ تمر سنوات طويلة لا نرى فيها كتابا ألفه زيتوني . ولولا بعض الكتب القليلة التي تتصل ببعض مواد الدراسة فيها ، والتي الفها مدرسون شبان ، لما كان هناك شيء على الاطلاق . وحتى الكتب المقررة في مناهج الدراسة نجد اكثريتها الساحقة من وضع مؤلفين ليسوا زيتونيين وليسوا ايضا تونسيين . فما معنى هذا ؟ ان الامر غريب جدا ، اذ لا يكاد المرء يصدق ان بالزيتونة مئات من الاساتذة والمدرسين ومع ذلك لا نجد شيئا يذكر . والواقع اننا قد نقبل في هذه الناحية بعض العذر ؛ نظرا الى ان مسالة الانتاج ، وخاصة في ميدان الكتابة والتأليف ، هي احدى المشكلات الثقافية الكبرى التي تعانيها تونس ، ويعانيها المغرب العربي كله .

الثانية ـ المساهمة في تقدم البلاد اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا ، واعني بالمساهمة هنا البناء والتأثير الواضح في ميادين حياة الشعب ، وسد حاجاته المختلفة ، التي يتطلبها وجوده من جهة ، وعصره من جهة اخرى . وفي هذه الناحية ايضا نجد فراغات كبيرة ، وميادين متعددة لم يستطع الزيتوني ان يقتحمها ، ولن يستطيع ذلك اذا استمر تعليمه على اوضاعه الحاضرة . ولست اشك في ان الطالب الزيتوني لن يرضى بان يظل على هامش الحياة ، وان يكون تأثيره في حياة شعبه محدودا جدا . ولكي ندرك هذا النطاق الضيق الذي انحصر فيه الزيتوني علينا ان ننظر لما تحتاج اليه بلادنا من اختصاصات وخبراء وفنيين ، وعلينا ان ندرك الهدف العام من كل نظام تعليمي في العصر الحديث . ان النظرة الاولى سترينا ان الزيتوني لا يصلح لاكثر من التعليم في الزيتونة او في المدارس الابتدائية بعد امتحان شاق عسير ، وفي المناصب الدينية او التي لها علاقة بالدين كان يكون اماما او قاضيا او عدلا وما الى ذلك . اما ان يكون طبيبا او مهندسا او كاتب حسابات في بنك او رئيس مصلحة فنية او موظفا ، فيها او ان يدير مصنعا او مؤسسة اقتصادية فلا ، لان مؤهلاته التعليمية الزيتونية لا تساعده على ذلك . فان وجد افراد في شيء مما تقدم فهم قلائل جدا . ولم يصلوا الى ذلك بثقافتهم الزيتونية ، بل بثقافة اخرى ، او بجهودهم الشخصية . ان هذه الحقيقه ينبغي ان نعترف بها كما ينبغي ان نعمل على إزالتها بسرعة ، قبل ان يجرفنا تيار آخر ، بات من المؤكد ان مناعتنا لا تكفي لمقاومته او تقليل اخطاره.

اعتراضات محتملة

وهنا ، احس بان بعض الاعتراضات او الاسئلة قد تدور في اذهان افراد من الحاضرين . ولعل اقوى ما يحتمل ان يوجه من اعتراض هو :

١ ـ ان الزيتونة مؤسسة دينية ، وان وضعها هذا لا ينبغي ان تنحرف عنه والا ضاع الدين وضاعت اللغة العربية .

٢ ـ ان تونس . بوصفها شعبا عربيا . مسلما . يجب عليها ان تحافظ على دينها الاسلامي ولغتها العربية . وان تلك المحافظة تستوجب وجود مؤسسة خاصة بتعليم كل ما يتصل بالدين واللغة العربية . وبما ان الزيتونة موجودة وقائمة بهذا الواجب . فينبغي ان تستمر على اداء عملها في حدود وضع خاص : هو الدين واللغة .

٣ ـ ان كثيرا من الاقطار العربية والاسلامية وحتى بعض الاقطار الاوربية عندها مؤسسات خاصة بالتعليم الديني ، فليست تونس اذن شاذة عن الامم أو عن عصرها .

ردود موضوعية

اظن ان هذا اكثر ما يمكن ان يوجه من الاعتراض او على الاصح من الدفاع عن الوضع الراهن الزيتوني . غير ان قليلا من البحث وعددا من الحقائق الدينية والتربوية والاجتماعية ، تكفي لجعل تلك الاعتراضات غير مقبولة

فاولا : ان القول بان الزيتونة مؤسسة دينية وان في ابدال وضعها ضياعا للدين ، قول لا يصح ان يقال للحقائق التالية :

١ ـ ان الاسلام دين ودولة ، واعتقد ان تعليم الزيتونة الحالي لا يستطيع ان يوفر للدولة وللشعب الذي تتولى امره الدولة ، لا يستطيع ان يوفر لهما ما يحتاجان اليه من اختصاصات ، ومعنى ذلك ان الزيتونة ، فضلا عن كونها تعزل نفسها عن حياة الشعب وعن قيادته من أكبر مؤسسة فيه وهي الدولة فضلا عن ذلك ، تكون الزيتونة قد بعدت عن حقيقة الاسلام الذي لا يفصل بين عناصر حياة المسلمين من سياسية واقتصادية وغيرها ، اي من دينية ومدنية .

٢ ـ ان اللغة العربية قد تقدمت وتطورت الى مدى واسع جدا في سوريا ولبنان وليس فيهما مؤسسات تعليمية من نوع الزيتونة ، كما ان التطور نفسه حدث في مصر

وفي العراق عن أيدي كتاب وخريجين من معاهد حديثة بأتم معنى الكلمة. فحفظ اللغة العربية وتطورها لا يقتضي الاحتفاظ بوضع معين .

٣ ـ اما حفظ الدين ، فلا ينبغي الخلط بينه وبين مصير خمسة عشر الف طالب وطالبة ، هم أمل من آمال هذا الشعب، ومرآة يرى فيها مستقبله في حياته كلها

٤ ـ ان الدين يمكن حفظه بايجاد فروع اختصاص في علومه المختلفة وبعد اجتياز مرحلة موحدة من التعليم ، التي هي ضرورية من الناحيتين التربوية والقومية لتكوين المواطن ، ومضاعفة الانتاج وازدهاره في كل الميادين . وساعود لهذه النقطة بعد قليل .

٥ ـ ان كل تعليم ينبغي ان تكون له اهداف تربوية واضحة ، تحقق مثل الشعب العليا في الحياة ، وتتفق مع تطور الحضارة والعصر ، والزيتونة في هذا الميدان تقف حائرة ، لا تعرف نفسها تماما .

اما الاعتراض الثاني ، القائل بان تونس عربية مسلمة ، وان ذلك يقتضي وجود مؤسسة كالزيتونة بوضعها الراهن للمحافظة على الاسلام والعربية. اما هذا الاعتراض ، فانه يحمل في نفسه بذرة موته كما يقولون . اذ هو يرى ان الجمود والاحتفاظ بالنظم والبرامج السلبية ، هو طريق المحافظة على الدين . وواضح ان هذا امر غير صحيح ، لانه ينافي جوهر الاسلام وحقائقه الخالدة ، القاضية بالحركة والتطور ، وهما سر بقاء الاسلام ، ومعنى كونه صالحا لكل زمان ومكان . هذا الى ان المحافظة على الدين ليست في التمسك ببرامج وطرق تعليمية معينة بل في ان يحيا المسلمون حياة اسلامية حقيقية ، وان تتمثل معاني الاسلام وتعاليمه في كل ناحية وركن من سلوكهم وتصرفاتهم ، لا ان يتركوا ذلك كله ثم يتشبثوا بزاوية ضيقة حاسبين أنها هي الاسلام نفسه ، وان ابدال شكلها والوانها ابدال للاسلام وضياع له . اما المحافظة على اللغة العربية ، فاني اعتقد ان اساليب التعليم الزيتوني الحاضرة في تعليمها لاتؤدي الا الى اضعاف اللغة العربية(١) والدليل

(١) لايحتج هنا بافراد قلائل نبغوا في اللغة او في فن من فنونها . لان القياس بالمستوى العام ، عن طريق النسب المئوية . والتجارب والاحصاءات التي قمت بها تعطي نتائج مؤسفة

واضح في ضعف مستواها عند الطلاب، الى حد ان الطالب يقضي سبع سنوات كاملة ثم يتخرج وهو لا يحسن كتابة رسالة بقواعد صحيحة وتفكير منسجم واسلوب حسن . وهكذا نرى ان هذا الاعتراض لا يستقيم له امر .

اما الاعتراض الثالث والاخير والقائل : ان كثيرا من الاقطار تحتفظ بمؤسسات خاصة بالتعليم الديني ، فقول صحيح ، ولكن من جانب واحد فقط ، ذلك ان الاقطار الاخرى تختلف مؤسساتها عن الزيتونة ، من ناحيتي النوع والكمية ، هذا باستثناء الازهر ، الذي تتنادى الاصوات من داخله وخارجه اليوم تطالب له بما نطالب نحن هنا لزيتونتنا وتشكو مما نشكو منه (١). أما عن الكمية فان انصراف خمسة عشر ألف طالب للدراسة الدينية ، هو تماما كمثل انصراف هذا العدد نفسه الى التخصص في الكيمياء أو الطب . وليس لمثل هذا الانصراف الضخم سوى تعطيله لعبقرية شعبنا ، وحصرها في نطاق واحد . بينما يقتضي العقل والحياة والعصر ، ان يفسح امامها المجال لكي تعبر وتبدع في اجواء كثيرة وميادين متعددة . هذا فضلا عن ان حاجة شعبنا من هذا الاختصاص ، أقل بكثير من هذا العدد الضخم ، الذي اعتقد أنه لو تخصص نصفه في الميادين العلمية الاخرى لكانت حياتنا الاجتماعية والصحية والاقتصادية اعلى بكثير مما هي عليه الآن . اما عن النوع فان المعاهد الاخرى لا تملأ برامجها وسنوات الدراسة فيها بمثل ما عندنا في الزيتونة . بل تجعل مرحلة معينة وهي العالية يتدرج فيها الطالب نحو الاختصاص .

أيها السادة !

لعلني قد توغلت بكم في موضوع شائك ، وحساس ، بسبب التصاقه بالعاطفة الدينية ، غير أنني أحببت عرض ذلك ، لأنني اتوقع مثل هذه الاسئلة في نهاية الحديث .

والآن تعالوا نعود الى النقطة الاخيرة من الحديث عن الزيتونة ، وهي اهدافها التربوية .

---

(١) انظر ما كتب في الموضوع بجريدة «الجمهورية» المصرية . خاصة مقال الدكتور احمد زكي بعدد ١٤ ـ ٨ ـ ٥٥ وتحت عنوان « ازهر وازهريون »

قلت فيما تقدم ، انه لا يجوز في عصرنا الحاضر ان يوجد نظام تعليم دون ان تكون له اهداف تربوية واضحة . والزيتونة من حيث هي مؤسسة علمية لها نظام تعليم واسع ، لا بد لها من اهداف تربوية، عامة تسعى الى تحقيقها ، واهداف اخرى خاصة تحققها كل مرحلة من مراحل الدراسة فيها .

وعلى هذا فان من حقنا جميعا ، بل من حق الشعب التونسي كله ، ان يسأل السؤال التالي :

ما هو الهدف التربوي للتعليم الزيتوني ؟ لقد حاولت جاهدا ان أجد شيئا يتصل به في برامج الزيتونة ، او ان اظفر بشيء من الاشارة اليه في جميع ما اطلعت عليه من برامجها او من التقارير والكتابات حولها ، فلم اظفر بشيء . واني لأسألكم أنتم ، هل علمتم شيئا او مر بكم فيما قرأتم او سمعتم ما يتعلق بهدف التربية في التعليم الزيتوني ؟

وما يقال عن الزيتونة في هذه الناحية يقال عن التعليم المدرسي ايضا . وقد كنت نشرت سلسلة من المقالات عن التربية واهدافها في مجلة المدرسة الحديثة . ذكرت فيها ما ياتي :

« ... لننظر الى التعليم الزيتوني والى التعليم المدرسي ، ولنسأل انفسنا عن الهدف التربوي الذي يسعى كل منهما لتحقيقه . ان الجواب سيكون حتما بوجود اختلاف جوهري بينهما ، في حين انهما في مجتمع واحد ولناشئة واحدة . وربما تعرض الفرد الواحد من ابنائنا الى تأثيرهما معا . اما ما هو هدف التربية عند كل منهما ، فذلك ما ينبغي ان تجيبنا عنه الدولة نفسها ، الدولة التي تقوم برعاية نوعين من التعليم تختلف اهدافهما التربوية اختلافا كبيرا ، خاصة فيما يتصل بالمثل العليا للجماعة وواجب الفرد نحوها ونحو الحياة التي يحياها وسط جماعته ؟ وان لم تجبنا الدولة ، فان السؤال يتجه بطبيعته الى المؤسسات الادارية القائمة على ادارة كل من النوعين ، والمسؤولة ادبيا واخلاقيا واداريا عن تحقيق اهدافها التربوية المرسومة ـ اذا كان ثمة اهداف مرسومة ـ ولكن يبدو ، ان هذا السؤال

لن نجد عنه جوابا »(١) فهل فيكم أيها السادة من يعطينا عنه جوابا شافيا ؟

أما أنا ، فسأذكر جوابي عند الحديث عن الهدف التربوي ، و كيف ينبغي ان يكون .

المعهد الصادقي

وانتقل الآن الى النوع الثاني من مؤسساتنا التعليمية القائمة ، وهو النوع الذي انحدر الينا من عهد الاستقلال . والذي ينحصر اليوم في المعهد الصادقي . وهو وان صار خاضعا في برامجه وجهازه كله الى ادارة المعارف عندنا ، مما جعله مماثلا لبقية المعاهد المدرسية ، الا انه في الواقع قد احتفظ بطابع خاص ، وجو علمي فيه نفع كثير ... ولولا الانحرافات المتتالية ، والتي نفذ جانبا منها تونسيون مع الأسف الشديد ، لما اصبح في هذا المستوى الضعيف ، الذي يشكو منه اليوم المطلعون على حقائقه والمتطلعون الى مستوى علمي افضل في بلادنا . ومع ذلك فان الصادقية ، هي أقرب النماذج التعليمية في بلادنا الى ما نطمح اليه . وعندما يعاد النظر في وضعها ، وفي وضع التعليم التونسي كله ، ستكون هي نقطة الانطلاق نحو مستقبلنا المنتظر في التعليم خاصة وفي الثقافة بوجه عام .

التعليم الحر

أما النوع الثالث ، وهو المؤسسات الحرة فقد خضع - حسبما علمت - الى اشراف وتوجيه ادارة المعارف . مما جعله شبيها بمدارسها الرسمية سيما في السنوات الثلاث الاخيرة . ولئن احتفظت ثلاث او اربع مدارس بحريتها ، فانها في الواقع لا تبعد كثيرا في برامجها ونظمها عن المؤسسات الرسمية الاخرى . اللهم الا في اهتمامها الاوسع باللغة العربية . وفي تدريسها لمواد علمية باللغة العربية اكثر مما تفعل المدارس الرسمية .

---

(١) انظر هذه المقالات التي لم تكمل حلقاتها ، في مجلة «المدرسة الحديثة» الاعداد ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - من سنة ١٩٥٥

التعليم الرسمي

اما المؤسسات الرسمية ، فان الحديث عنها طويل شائك غير انني اختصره في النقاط والملاحظات التالية . وذلك لان جميع العيوب والمساوىء المتراكمة ، والتي وضعها الاستعمار وفق سياسة مرسومة ، ستقف كلها ، وسيبدأ في ازالتها بداية من العام الدراسي المقبل ، حسبما ينتظر من وزارة المعارف التونسية . اما الملاحظات والنقاط المسجلة عليها فهي :

١ ـ انحراف اهدافها التربوية عن مثل شعبنا العليا ومطامحه القومية .

٢ ـ إزدواج لغة التعليم والبرامج في المرحلتين الابتدائية والثانوية مما يعوق القابليات العقلية عند اطفالنا ويضعف فيهم روح التجاوب والانعطاف مع البيئة .

٣ ـ انعدام التربية الوطنية في البرامج ، روحا وموادا . مما يبعد اتجاه طلابنا عن محيطهم . ويكوّن منهم نماذج غريبة من المواطنين في تفكيرهاوسلوكها

٤ ـ ضعف متواصل في برنامج اللغة العربية وفنونها . في كافة السنوات الدراسية .

٥ ـ نقص فادح في مرافق التعليم كالمباني والتجهيزات العلمية والاجتماعية

٦ ـ اهمال مطلق في التكوين الصناعي والتربوي للمعلم . ويتمثل هذا الاهمال بوجه خاص في النواحي التالية :

أ ـ عدم وجود معهد عال لاعداد المدرسين للمدارس الثانوية . اذ ان التعليم الثانوي كالتعليم الابتدائي يحتاج الى اعداد مهني خاص . وسبيل ذلك هو تأسيس معهد عال للتربية ، يقضي فيه المتخرج من الكليات بدرجة الليسانس عاما للتدرب الصناعي . او باحداث كلية عليا للمعلمين يتلقى فيها الطلاب نفس الدراسات العلمية التي يتلقونها في الكليات الاخرى ، مع التدريب الصناعي نظريا وتطبيقيا في العلوم التي تتصل بالتعليم ، كطرق التدريس العامة والخاصة وكذلك التربية بتاريخها وانواعها المختلفة . ومجموعة كاملة من ابحاث علم النفس المتصل بالتعليم من جهة ، وبالطفل والمراهق من جهة اخرى .

ب ـ قلة المعاهد الخاصة باعداد المعلم للابتدائي . حيث لا توجد عندنا سوى مدرسة واحدة للذكور واخرى للاناث . بينما تقتضي حاجة البلاد وجود عشرة معاهدعلى الاقل . كما سيتضح لنا ذلك عنداستعراض قواعدالمستقبل

ج ـ عدم العناية بالمعلم بعد تخرجه ومباشرته ، لعمله مما جعل مستوى عدد منهم في انخفاض مستمر . بينما يقتضي الواجب مواصلة العناية بالمعلم تربويا وثقافيا وصحيا حتي يحافظ على مستوى لائق ، ويزداد تطورا وتقدما (١)

٧ العناية بالكمية دون النوع ، وتكديس التلاميذ باعداد كبيرة في القسم الواحد ، وفي المدرسة الواحدة . مما يؤدي حتما الى انخفاض كبير في مستوى التعليم من جهة ، وفي نتائج الامتحانات خاصة الشهادات من جهة ثانية، ويعجز المعلم والادارةعن تحقيق الاهداف التربوية وجعل الانضباط محكما في حياةالمدرسة

ولا يخفى على احد ، ان هذه السياسة التعليمية ، قد رتبت لاغراض استعمارية داخلية وخارجية . فمن الناحية الداخلية تسكت السلطات الاستعمارية بها اصوات الشعب المطالبة بتوفير التعليم لجميع الاطفال المتأهلين له . ومن الناحية الخارجية ، يستطيع ممثلوا فرنسا في هيئة الوصاية الدولية ، ان يقدموا تقريرا مفيدا لدولتهم عن تطور التعليم في تونس ليبينوا لاعضاء الدول ان فرنسا تقوم بعمل ثقافي واسع وعظيم في مستعمراتها !! بينما لا يؤدي هذا العمل الواسع العظيم الا الى تدهور مستوى التعليم ونقص عدد الناجحين فيه .

٨ ـ كثرة القيود والعراقيل في طريق انتقال التلامذة من مرحلة دراسية الى اخرى . ولعل أشد هذه القيود والعراقيل هي :

أ ـ ضبط سن القبول في المدارس الابتدائية ثم الثانوية بامد قصير ، يحرم المتخلفين بسبب المرض او الرسوب من نيل الشهادة الابتدائية والانخراط في التعليم الثانوي .

ب ـ اشتراط النجاح في مناظرة خاصة للدخول للتعليم الثانوي مع ان الشهادة الابتدائية وحدها معناها تأهل حاملها للتعليم الثانوي . وهذا بصرف

(١) انظر كتاب « حصاد القلم » للمؤلف ص ١٦٥ ـ ١٦٩

النظر عن نوع التعليم الثانوي الذي يصلح له الطالب . اذ علينا ان نعطيه حق مواصلة التعليم الثانوي ، ثم نوجهه فيه نحو الاختصاص الذي يستطيعه مستواه العقلي والعلمي .

ج - تضييق الزمن امام اولياء الاطفال ، عند افتتاح كل عام دراسي او نهايته ، سواء لتسجيل اطفال جدد ، او لتقديم مطالب الامتحانات والمناظرات المختلفة .

د - كثرة الاجراءات والشروط والاوراق المطلوبة ، مما يعجز الكثيرون ، عن اتمامه ، فتضيع عليهم الفرصة وهي لا تتكرر .

٩ - ضعف العناية بالبنت ، في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، مما نتج عنه تخلف المرأة عن الرجل في المستوى العقلي والعلمي والاجتماعي . وكان من نتائج هذا التخلف ان اندفع كثير من شبابنا الى الزواج بالاجنبيات ، واكثرهن فرنسيات . وفي هذا كسب لسياسة الادماج الاستعمارية . ومن هنا يتبين لحضراتكم مدى بعد نظر الاستعمار ، وخطر اهدافه البعيدة ، وخفاء اساليبه في تحقيقها .

١٠ - ضيق دائرة التعليم الثانوي وقلة المدارس الخاصة بالتونسيين (١) مع كثرة القيود ، وتعمد اسقاط التونسيين في الامتحانات خاصة امتحان الباكالوريا بجزئيها . وغاية الاستعمار هنا واضحة ، اذ هو يريد ان يحرمنا من المختصين الذين لا يمكن تكوينهم الا بواسطة الناجحين في شهادة الباكالوريا . وهكذا ينصرف مئات من ابنائنا عن التعليم العالي الى الوظائف الصغيرة والاعمال الخاصة.

١١ - فقدان التعليم العالي ، مع ضرورته لبلادنا ، وتوفر كثير من الامكانيات لنجاحه . ورغم وجود عدد من فروعه ، كالتجارة والزراعة والحقوق ، فان نسبة التونسيين محدودة في تلك الفروع . اما الحقوق التونسية فهي ببرنامجها الحالي لا تصل الى مستوى كلية ، وقد أدى هذا المستوى الضعيف ، الى ضعف القضاء التونسي في تشريعه ، وعدد رجاله المختصين . وبالتالي في حقوقه واختصاصاته القضائية وضعف جهاز الابحاث والتحقيق فيه .

---

(١) انظر الاحصاءات في نهاية الكتاب ، وقارن بين حالة التعليم الثانوي بتونس ، وبينها في سوريا التي تماثل تونس في عدد سكانها .

١٢ ـ فرض اللغة الفرنسية في جميع مراحل التعليم . وجعلها لغة المواد العلمية ، وحصر العربية في نطاق لغوي محض . وهو ما يعرف كلنا نتائجه الخطيرة في تفكيرنا وحياتنا وادارتنا .

١٣ ـ فقدان النشاط الاجتماعي داخل المدارس ، وعدم وجود عناية خاصة بالهوايات والنشاط الفني والاقتصادي والاجتماعي الحر ، الذي يقوم به التلاميذ عادة خارج الاقسام ، وفي اوقات الفراغ . اما الرحلات المدرسية لانحاء القطر او خارجه فمعدومة تماما ، مع ان مثل هذا النشاط تستفيد منه المعاهد الحديثة في توجيه الطلاب تربويا ، واعدادهم للحياة اعدادا عمليا ، قائما على الرغبة الشخصية ، والتشويق والتشجيع اللذين يجدهما كل طالب في مثل هذا النشاط ، وهو ما يسمى في الشرق بالاعمال اللاصفية .

١٤ ـ قلة عدد المدارس المهنية ، من صناعية وتجارية وزراعية ، وضعف عدد كبير منها ، حتى بلغ مستوى اكثرها ورشة ميكانيكية ، او مكانا يقضي فيه الاولاد اوقاتا طيبة للهو واللعب ، ونتيجة هذا بقاء تجارتنا وصناعتنا وزراعتنا في مستوى القرون الوسطى ، وكذلك انعدام الفنيين في تلك الميادين نفسها .

١٥ ـ واخيرا ، تقطيع ساعات التعليم اليومية ، بجعل التلامذة افواجا تتوالى على مدرسة واحدة وقسم واحد ، اكثر من مرة واحدة في الصباح او المساء . اي بتجزئة كل من فترتي الصباح والمساء الى فترتين او اكثر ، مما يسبب ارتباك الحياة المدرسية ، ويسير بمستواها الى الضعف والانحطاط بسرعة عجيبة . وبديهي ان هذا العمل الشاذ ناشىء عن سياسة التكديس ، حيث يحشر في القسم الواحد اكثر من خمسين طفلا ، واحيانا سبعين ، مما يسبب ارهاقا فادحا للمعلمين ، ويعجل بانهيار اعصابهم بل قد يقود الكثيرين منهم الى الجنون . وهذه نقطة حيوية تختفي وراءها اغراض استعمارية كثيرة ، اشرت قبل قليل الى بعض منها ، وذلك اثناء الحديث عن سياسة التكديس وصرف الاهتمام الى الكمية دون النوع .

هذه أيها المواطنون ، مجموعة من المآخذ المسجلة على التعليم المدرسي الراهن ، وليست هي جميع ما يحتويه من المشاكل والمساوىء ، وانما هي نماذج لها ، استعرضتها دون تعمد الاختيار والفرز . وستبقى مع الاسف الشديد عدة سنوات اخرى ، بسبب كثرتها اولا ، وبسبب المشاكل الجديدة التي ستنشأ عن محاربتها ثانيا ، وبسبب ما نحتاج اليه لازالتها من امكانيات مالية وفنية ، لا تستطيع بلادنا بظروفها الراهنة ان توفر لنا منها الانسبة محدودة .

غير ان هناك آملا كبيرا في استعداد الشعب ووعيه ، وفي يقظة منظماته القومية وامكانياتها العظيمة للنجاح . فعن طريق الشعب وبواسطة منظماته المختلفة يمكن ان نقضي على جميع المشاكل القائمة في بلادنا سواء أكانت في ميدان التعليم ام في غيره من الميادين . وسأذكر في النهاية كيف ينبغي ان يكون التعاون بين الشعب والحكومة في ميدان التعليم .

خلاصة الحقائق

والآن ، سأقف عند هذا الحد ، من الاستعراض والملاحظة في تعليمنا الحاضر مستخلصا لكم منه الحقائق التالية :

١ ـ ان التعليم المدرسي وضعت برامجه واهدافه لخدمة اغراض استعمارية ولئن اعطى نتائج عكس تلك الاغراض ، فذلك بسبب الوعي الوطني الذي زرعه الحزب الحر الدستوري ، وبفضل يقظة زعمائه وبراعتهم في قيادة الشعب ، وصيانته من اخطار سياسة الاستعمار ، سواء في التعليم او في اي ميدان آخر .

٢ ـ ان التعليم المدرسي ونظمه المختلفة ملىء بالمشاكل ، التي ينبغي حلها وفق مصلحة الشعب ، وفي اقرب وقت ممكن .

٣ ـ ان حل تلك المشاكل يكوّن مشاكل اخرى ، ويحتاج الى امكانيات مالية وفنية ، قد لا تسمح ظروف بلادنا الراهنة الا بتوفير نسبة محدودة منها . غير ان التغلب عليها يكون أيسر واسرع اذا تعاون الشعب مع الحكومة في هذا الميدان ، وساهمت المنظمات في حل المشاكل .

٤ ـ أن التعليم الزيتوني متخلف عن مسايرة العصر ، وعاجز بنظمه وبرامجه الحاضرة عن تكوين الاختصاص ، واعداد المواطن للحياة العامة اعدادا عمليا شاملا .

٥ ـ ان التعليم الزيتوني كالتعليم المدرسي ، ينبغي حل مشاكله كلها ؛ وفق سياسة واحدة ، ولمصلحة مستقبل شعبنا الثقافي ، دون اي اعتبار آخر ، وفي حدود المحافظة على مقومات ثقافتنا التي تتمسك بالاسلام والعروبة ، وتتطلع الى المستقبل بامل وعزم ضمن نطاق الاسلام والعرب .

نحو المستقبل

أيها السادة !

إن اول شيء يجابهنا في طريق المستقبل ، هو السؤال التالي :

ماذا نريد في المستقبل ؟

لا أشك ابدا ، في ان جميعنا يتفق على ان يكون تعليمنا في المستقبل محققا للاهداف التالية :

١ ـ تكوين المواطن الصالح المعتمد على ثقافة عصرية تقدمية ، والمعتز بتراثنا القومي .

٢ ـ المحافظة على تراثنا الثقافي ومقوماته جميعا .

٣ ـ اظهار امكانياتنا الخاصة في ثقافة العرب المعاصرة ، والمساهمة فيها بنصيب لائق ، سواء عن طريق احياء وبعث القديم او بتقديم انتاج حديث .

٤ ـ تحسين حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية بتقديم قيم نافعة جديدة والسير بشعبنا نحو مثل اعلى موحد ، والمساهمة في رفع مستوى حياته نحو الافضل باستمرار .

٥ ـ الاخذ بنصيبنا من المسؤولية والبذل تجاه الانسانية والحضارة المعاصرة

حيث يسير العالم نحو التعاون والتآخي يوما بعد يوم ، وذلك ما يفتح الآمال امام الشعوب كلها في قيام عالم خال من الاستعمار والاستغلال ، وعدو للحروب والاستبداد والظلم ، وملىء بالرخاء والحرية والعدالة .

تلك هي الاهداف التربوية الكبرى التي ينبغي ان يحققها لنا جهاز التعليم في المستقبل، وهو لا يستطيع ان يحقق لنا شيئا منها اذا استمر على اوضاعه الراهنة من انهيار وفوضى وانقسام .

اما الدعائم التي يجب ان يقام عليها كيانه ، ويشاد صرحه فهي تنحصر في المبادىء التالية :

١ ـ تعليم تونسي موحد ، ببرامج واحدة ، واهداف تربوية واحدة ، تنسجم مع مثل شعبنا العليا وتجهز الفرد لان يعيش عصره ويفهم حضارته ويساهم فيها

ـ ٢ تعريب التعليم بمراحله الثلاث : ابتدائي ، وثانوي ، وعالي . واعطاء اللغات الاجنبية مكانة ثانوية في البرامج بعد اللغة القومية . اي ان تكون لغات اضافية يستكمل بها الطالب عناصر ثقافته . وتساعده على مواصلة تعليمه العالي في اوروبا . اما جميع مواد الدراسة فيجب ان تكون باللغة العربية .

٣ ـ توسيع التعليم الابتدائي والثانوي بحيث يشمل جميع المتأهلين له والقادرين عليه . مع جعل الابتدائي الزاميا ومجانيا ، وجعل الثانوي مجانيا و ميسرا لكل متأهل له .

ان هذه المبادىء الاساسية ليست كل شيء ولكنها اهم ما يجب ان يقوم عليه المستقبل . فاذا نظرنا اليها من ناحية التطبيق وجدنا امامها صعوبات كبيرة ومشاكل كثيرة . غير ان ذلك لا يحول دون العمل على تحقيقها . ولكي نفهم تلك الصعوبات والمشاكل اجمالا . ينبغي تقسيمها الى الانواع التالية :

٢ ـ صعوبات مالية

٢ ـ صعوبات ومشاكل فنية وعلمية

٣ ـ صعوبات نفسية واجتماعية

ان الصعوبات المالية ستنشأ عما يحتاج اليه توسيع التعليم وتعميمه و كذلك

تعريبه من مباني واجهزة مختلفة ومدرسين ، ونفقات كثيرة لابواب اخرى . اما الصعوبات والمشاكل الفنية والعلمية ، فهي التي تنشأ من قلة المختصين في التعليم ، ونقص عدد المعلمين والاساتذة وكذلك الخبراء في المناهج والنظم المدرسية ، وستنشأ هذه المشاكل والصعوبات من التعريب والتوحيد والتوسع . اما الصعوبات والمشاكل النفسية والاجتماعية . فهي التي ستجابهنا في ميدان توحيد التعليم فقط ، ومن جانب واحد ، هو الزيتونة . ذلك ان عددا من شيوخ الزيتونة ، قد فهموا ويريدون ان يفهموا الناس ايضا ، بان توحيد التعليم في تونس معناه الغاء التعليم الزيتوني ومحق شخصية الزيتونة . ولعل وراء هذا خوفا كامنا على مستقبلهم الشخصي ؛ حيث ان بعضهم يظن ان من نتائج التوحيد الغاء وظائفهم ورواتبهم ، ثم بقاؤهم من غير عمل . وهذه الحقيقة وان لم يصرح بها احد ، الا انها دافع خفي من دوافع المعارضة

ولست هنا متهما احدا بالخطأ او بالجمود والخوف الشخصي ، ولكنني أفهم القضية من زاوية اخرى ، هي زاوية مصلحة الشعب من جهة ، وزاوية حقائق العلم والتطبيق الممكن من جهة ثانية .

اما مصلحة الشعب فهي تنادي ببقاء الزيتونة بوصفها أقدم مؤسسة علمية في البلاد ، وبوصفها رمز تراثنا الثقافي كله . فليس من انسان عاقل يدعو او يرغب في محق كيانها ، ووضع حد لوجودها ورسالتها . ولكن بقاء الزيتونة شيء واستمرار انعزالها عن حياة الشعب وعن اهدافه التربوية والثقافية شيء آخر . إذ لا يقتضي بقاؤها ان تنكمش في دائرة خاصة وتحتفظ بمركز علمي حائر ، لا هو ثانوي محض ، ولا هو جامعي حقيقي . ومصلحة الشعب كذلك هي في وجود تعليم تونسي واحد ، قائم على اهداف واحدة وبرامج واحدة ، وهذا التوحيد لا يعني ابدا إنهاء عمل الزيتونة الثقافي ، بل بالعكس يريد ان يحدد بوضوح مركز الزيتونة العلمي وان يقفز بها الى مستوى الجامعات الحديثة . وهذا لا يتم الا بادخال إصلاح شامل وتعديل كامل في برامجها وجهازها الاداري ونظمها المختلفة .

واحب ان اعلن هنا حقيقة رائعة ينطوي عليها واقع الزيتونة الحاضر ، وهذه الحقيقة هي : ان الزيتونة اليوم بشعبتها العصرية وبخطواتها العلمية الاخرى ليس بينها وبين المستوى الذي نطمح اليه مسافة كبيرة . وان من الخير الكبير للبلاد وللزيتونة نفسها ان تتحول الى جامعة حقيقية تحمل اسم الزيتونة ، وتشتمل على كافة فروع الاختصاص العلمي والديني في وقت واحد . وساذكر بعد قليل كيف يمكن ان تتحول الزيتونة الى جامعة حديثة مع الاحتفاظ بمركزها ومآثرها التاريخية

اعود الآن الى مشاكل المستقبل .

لقد اشرت فيما تقدم ، الى ان جميع مشاكل الماضي ومشاكل الحاضر ، هي نفسها مشاكل المستقبل . وان هناك مشاكل اخرى ستظهر مع المستقبل نتيجة اهدافه الجديدة . واحب الآن ان استعرض لكم بايجاز يقتضيه وقتنا المحدود تلك المشاكل ، وما اراه شخصيا من حلول لها .

حل مشاكل المستقبل

وابدأ قبل كل شيء بالمشكلة الرئيسية ، وهي المال الضروري لتحقيق اهداف المستقبل ومشاريعه .

جاء في الميزانية التونسية لعام ٥٢ - ١٩٥٣ ان قسط التعليم منها بلغ ٦ر١٣١ مليونا وهذا المبلغ يعادل تقريبا سدس الميزانية نفسها .

فاذا اعتبرنا النسبة نفسها باقية ، فان قسط المعارف لعامنا الحالي يصل الى اكثر من ثمانية مليارات . وهو مبلغ ضخم بلا شك . وتزداد اهمية هذا المبلغ اذا اعتبرنا ، ان اكثر من نصفه كان ينفق على مؤسسات اجنبية لا يستفيد منها التونسيون . وحسبما يبدو من الاتفاقية الثقافية ، فان جميع المؤسسات والمدارس الفرنسية ، ستتولى حكومة فرنسا الانفاق عليها(١) ومعنى ذلك ان أكثر من اربعة مليارات ستتوفر في ميزانية المعارف ، وستتيح لها ان تجد المال اللازم للنهوض بمستوى التعليم عندنا . وتحقيق اهدافنا مع المستقبل . غير انني مع

(١) ان الاستدلال بالاتفاقية الثقافية لا يعني قبولها او الموافقة عليها

ذلك ، أرى ان يتعاون الشعب مع المعارف ، بان ينشىء المدارس ويساهم في كثير من احتياجاتها عن طريق التبرع الشخصي والاكتتابات العامة ، خاصة وان أمام معارف الغد ، مشكلات كثيرة تتطلب بدورها مالا كثيرا . كتوسيع التعليم الابتدائي والثانوي . وزيادة عدد المعلمين والاساتذة بنسبة سبعين بالمائة على الاقل ، وارسال البعثات الى الخارج . وتجهيز كثير من المدارس الناقصة التجهيز ، وتحويل عدد من المدارس التكميلية الى مدارس ثانوية . كذلك يمكن للشعب وللمنظمات ان يؤسسوا المدارس الحرة ابتدائية وثانوية . ولا شك ان القيود الاستعمارية التي كانت تعوق انشاء المدارس الحرة ستزول كلها ولن تبقى الا الشروط الصحية والعلمية الضرورية لحياة التلاميذ والمدرسة . ومثل هذا التعاون موجود في لبنان وسوريا والعراق وكذلك في مصر ، وله مظاهر كثيرة وانواع متعددة ، لا يتسع المجال هنا لعرضها كلها . ويكفي ان اقول ان نسبة المتعلمين في لبنان تزيد عن ٩٠ ٪ ومع ذلك فان اكثر من خمسين بالمائة من المدارس الابتدائية لا تنفق عليها الحكومة بل الشعب . أما التعليم الثانوي فان الحكومة اللبنانية لم تتولى تأسيسه من ميزانها الا عام ١٩٤٧ . واما العالي فانها لم تحدثه الا عام ١٩٥٢ . بتأسيس دار عليا للمعلمين ، ثم بايجاد فرع واحد من كلية للاداب وبذلك تأسست اول جامعة لبنانية رسمية . صحيح ان المعاهد الاجنبية تلعب دورا مهما في لبنان ولكن المدارس الاهلية ، في كل من سوريا ولبنان تقوم بدور اهم . وسنقف في نهاية المحاضرة على احصاءات مقارنة ترينا مقدار التطور السريع الذي تم في كل من سوريا ولبنان بعد زوال الاحتلال الاجنبي عنها . واعتقد اننا وان لم يزل عنا الاحتلال الاجنبي وينتهي الحكم الاستعماري ، الا ان ميدان المعارف قد صار حرا ، يستطيع المسؤولون فيه ان يحققوا للشعب اعظم اهدافه في سنوات قليلة .

واذكر لكم هنا ملاحظة عميقة ، هي ان البلديات في سوريا تساهم مساهمة فعالة في تقدم البلاد العلمي والاجتماعي . اذ انها تنشيء المدارس الابتدائية

والثانوية وتنفق عليها من ميزانها . واكثر من ذلك ، فان البلديات السورية تتسابق في ارسال البعثات العلمية على حسابها . وفي اخذ الاولوية في كلية الهندسة لابنائها اي كل بلدية لابناء جهتها . فأين بلدياتنا التونسية ، واين اعمالها ، وأين يا ترى تنفق اموال الشعب الطائلة ؟

أيها السادة

ان مشاكل تعريب التعليم تنحصر في النقاط التالية :

١ ـ ايجاد المدرسين الاكفاء لتدريس كافة المواد باللغة العربية .

٢ ـ ايجاد الكتب العلمية اللازمة لكافة المراحل باللغة العربية

٣ ـ تعريب المصطلحات العلمية .

ان مشكلة المدرسين ليست ذات صعوبة خطيرة ذلك ان التعليم الابتدائي قد خطا في التعريب مرحلة كبيرة .. ويمكنه ان يواصل عمله مع عناية فائقة من المعارف بتكوين المعلم عن طريق :

أ ـ توسيع ترشيح المعلمين والمعلمات الحالية بقبول اكبر عدد ممكن من الطلبة .

ب ـ فتح دورات تربوية للمعلمين المستجدين خلال العطل الصيفية .

ج ـ فتح دور معلمين ومعلمات جديدة بمعدل اثنتين كل سنة واحدة للذكور واخرى للاناث . حتى يبلغ عددها في خلال خمس سنوات عشرا على الاقل .

اما التعليم الثانوي فان التعريب فيه سيكون تدريجيا ومعنى هذا انه لا يحتاج الا الى عدد معين كل سنة حسب سياسة التوسع من جهة ، وشمول التعريب لسنة جديدة من جهة اخرى . على ان يبدأ التعريب بالسنتين الاولى والثانية معا في عام ١٩٥٦ اوان يبدأ من اكتوبر ١٩٥٥ بمقدار ما يتوفر من الاساتذة .

ويمكننا توفير العدد اللازم كل سنة من الاساتذة مهما توسعنا ومهما عربنا بالوسائل التالية :

١ ـ اعتبار الطلبة المغتربين في فرنسا والشرق ، والذين يدرسون في اختصاصات نحتاج اليها ، اعتبارهم طلاب ارساليات ، ومدهم بالمساعدات المالية

الكافية بعد اخذ تعهد كتابي منهم يلتزمون فيه بالتدريس مدة اربع سنوات او اكثر :

ب - اختيار عدد من مدرسي الزيتونة الاكفاء ، وتحويلهم الى المدارس الثانوية الموحدة .

ج - ارسال بعثات سنوية الى اوربا والشرق .

د - جلب اساتذة من الخارج ، خاصة من مصر . وفي جلب الاساتذة العرب فوائد مادية ومالية وعلمية وقومية كبيرة ، فمن الناحية المادية ، تدفع الحكومة المصرية مساعدات مادية ذات بال ، قد تبلغ نصف رواتب الاساتذة المنتدبين . اما من الناحية العلمية ، فان وجودهم يساعد كثيرا على نجاح التعريب وتوحيد المصطلحات العلمية بيننا وبين البلاد العربية الشرقية ، التي سبقتنا بربع قرن او اكثر في هذا الميدان . وانه لمن الحكمة والرشد ان نستفيد بكل التجارب التي كونتها الشعوب العربية وان نأخذ عنها كل تطور ناجح وصلت اليه .

أما مشكلة الكتب ، فان حلها ميسور ايضا وذلك عن طريق لجان تؤلف من قبل المعارف وتحت اشرافها ، في كل مادة على حدة لتضع لنا كتبا ملائمة تؤلفها او تعربها او تختارها من الكتب الشرقية ان وجدتها صالحة لنا .

اما مشكلة المصطلحات ، فان الخلاف فيها قليل رغم المخضرمين في الكيماء كما يسميهم الاستاذ البشير قوشة في مقاله المشهور عنهم . (١) وعندنا عدد من الاساتذة القادرين على القيام بهذه المهمة علميا ولغويا . امثال الاساتذة محمود المسعدي والبشير قوشة ومحمد الميلي وعبد السلام الكناني وغيرهم .

أما مشكلة التوسع في التعليم الابتدائي والثانوي . فانها تنحصر في الامرين الآتيين :

الاول - المال . وقد تحدثنا عنه .

والثاني - المعلمون والاساتذة . وقد اشرت الى حله من قبل .

---

(١) نشر هذا المقال القيم بجريدة الصباح عدد ٢٤ / ٦ / ٥٥

بقيت مشكلة توحيد التعليم ، التي لا أعتبرها شخصيا مشكلة حقيقية ، وذلك للاسباب التي سبق ذكرها ، وللاسباب التالية :

اولا - ان التوحيد ليس معناه القضاء على التعليم الديني ، بل بالعكس فان التعليم الديني ستبقى له مكانته المحترمة وسيزاد في فروع اختصاصه .

ثانيا - ان الدين سيكون مادة اساسية في جميع المدارس الثانوية الموحدة ، بمعدل ساعتين في الاسبوع وفي كافة سنوات المرحلة الثانوية . (١)

ثالثا - ان طلاب الزيتونة وهم الذين يهمهم الامر قبل سواهم ، لانه يتعلق بمصيرهم وبمستقبلهم ، ان طلاب الزيتونة يرغبون في هذا التوحيد . وينادون به منذ سنوات طويلة خلت . وهذه بعض مطالبهم التي احتوت عليها بنودهم الستة عشر المشهورة تؤكد ذلك :

جاء في البند الرابع قولهم :

« التوسع في العلوم الطبيعية والرياضية بالتعليم الثانوي بالجامع الذي ينتهي بشهادة التحصيل حتى يصل الى مستوى التعليم الثانوي الذي ينتهي بالجزء الثاني من الباكلوريا وبان يصبح التعليم الثانوي بالجامع تعليما تجهيزيا يؤهل حامل التحصيل لمتابعة التعليم العالي باية جامعة في الخارج سواء بالشرق او بالغرب وفي اية ناحية من نواحي التعليم العالي»

كذلك طالبوا في المادة الخامسة بفتح انواع جديدة من التخصص كالتاريخ والفلسفة والجغرافيا ، والعلوم الرياضية .

وطالبوا في المادة السابعة بجلب اساتذة مختصين من الخارج للتدريس في تلك الفروع الجديدة ريثما يتم تكوين اطار من الاساتذة التونسيين .

كذلك طالبوا في المادة العاشرة باقامة معاهد حديثة ينقل اليها التعليم ليتم الانسجام ويتيسر تطبيق البرامج الجديدة .

وطالبوا بايجاد مختبرات عصرية وادخال اللغات الاجنبية وان تكون الدراسة

---

(١) ان مصر وسوريا والعراق والاردن وليبيا لا تزيد دروس الدين في برامجها عن درسين اسبوعيا .

في اقسام وان لا يحتوي القسم الواحد اكثر من ثلاثين طالبا لتيسير الفهم والافهام وهو منطوق المواد ١١ - ١٣ - ١٥ -

الا قولوا بربكم الا تعنى هذه المطالب جميعها المطالبة بتوحيد التعليم ؟

الجامعة التونسية

أيها السادة الاعزاء !

أنهي هذا الحديث بمقترحات حول تأسيس جامعة تونسية ، وحول مقاومة الامية ، وتوجيه عناية خاصة بتعليم البنات ، وتكوين المعلمات . وكذلك بخلاصة عملية عن مراحل التعليم الموحد ، وعرض مثال لذلك .

اعتقد بان عندنا امكانيات أولية لتأسيس جامعة تونسية حديثة ، وهذه هي الخطوات العملية التي ينبغي اتباعها لاجتياز مرحلة التأسيس :

١ - اختيار مكان لائق صحيا واجتماعيا ، في العاصمة واقامة مباني كليات للدراسات النظرية فيه ، ثم تؤسس الكليات العلمية بالتدريج .

٢ - تسمى الجامعة : الجامعة الزيتونية .

٣ - يمكن افتتاح الجامعة في غرة اكتوبر عام ١٩٥٦ بايجاد وتنظيم الكليات الآتية :

أ - كلية الشريعة وتحتوي على الفروع الآتية : اصول الدين . القضاء . القراءات . التوحيد والفلسفة الاسلامية .

ب - كلية الحقوق

ج - المدرسة الادارية

د - معهد التربية العالي ، او كلية المعلمين العليا لاعداد المدرسين والمدرسات للمدارس الثانوية

هـ - كلية الزراعة

و - كلية الآداب ، وتحتوي على الفروع التالية : اللغة العربية وآدابها ، اللغات الاجنبية . التاريخ . الجغرافيا . الفلسفة .

ان هذه الكليات كلها قائمة الآن تحت اسم مدارس عليا . سوى كلية المعلمين العليا . التي ينبغي احداثها وجعلها ضمن جامعة الزيتونة المنتظرة . اما بقية الكليات فلا تحتاج اكثر من زيادة العناية بها ، واعادة النظر في برامجها وجلب الاساتذة لها من الخارج ريثما يتم تكوين العدد الكافي من الاساتذة التونسيين . على انه يوجد في الوقت الحاضر عدد لا بأس به يستطيع ان ينهض وحده باعباء كلية الحقوق وبعض فروع كلية الآداب . وكذلك المدرسة الادارية اما كلية الزراعة فلا مانع من ان تستمر الدراسة فيها باللغة الفرنسية . ريثما يقع اجتياز فترة الانتقال في تعريب التعليم الثانوي .

أما كلية الشريعة فهي التي تعد الخريجين الى مناصب القضاء الشرعي . والتدريس الديني . وما الى ذلك . على ان تكون مدة الدراسة فيها اربع سنوات بعد الثانوي . إسوة بباقي الكليات . وبمثيلاتها في الازهر وبغداد .

أما توحيد التعليم الثانوي ، فكما قلت من قبل فان امره سهل جدا ، خصوصا وان تطبيقه سيقع على مراحل ، لا ينبغي ان تزيد عن خمس سنوات واول خطوة الى ذلك هي فصل الزيتونة عن وزارة المؤسسات الاسلامية . (١) وجعلها تابعة الى وزارة المعارف مباشرة . واحداث مصلحة خاصة في وزارة المعارف تتولى شؤون الزيتونة ريثما تنتهي مرحلة الانتقال . كذلك ينبغي احداث مجلس اعلى للتعليم يرأسه وزير المعارف . ويشترك فيه عدد من الاساتذة والخبراء المسؤولين عن سير التعليم .

ولحسن الحظ . فان مدة الدراسة في الزيتونة هي نفس المدة في المدارس الرسمية . وهذا مما يساعدنا كثيرا على الانسجام والسرعة . ولكي نكون فكرة عامة عن مراحل التعليم الثانوي الموحد واقسامه . يمكن ان نجعلها على الصورة التالية :

مدة الدراسة الثانوية سبع سنوات . وهي تنقسم الى مرحلتين :

---

(١) من الواضح ان هذه المحاضرة القيت قبل الغاء هذه الوزارة .

الاولى - مرحلة عامة يتلقى فيها جميع الطلبة برامج موحدة ، ومدة هذه المرحلة اربع سنوات وتنتهي بامتحان لنيل شهادة اقترح ان يكون اسمها « الشهادة الاهلية » .

الثانية - وتنقسم الى نوعين : شرعية : ومدتها ثلاث سنوات وتنتهي بامتحان لنيل شهادة انهاء التعليم الثانوي ويمكن ان تسميتها : شهادة التحصيل (القسم الشرعي) . عصرية : ومدتها ثلاث سنوات وتنقسم في السنة الثالثة الى شعبتين: شعبة علمية :للرياضيات . وشعبة ادبية للفلسفة والادبيات . وتنتهي بشهادة التحصيل (القسم العصري علمي او ادبي) . ومن الواضح هنا ان الناجح في التحصيل الشرعي يستطيع ان يواصل دراسته العالية في اي شعبة من شعب كلية الشريعة . والناجح في التعليم العصري يستطيع ان يلتحق بكلية الحقوق او الآداب ان كان من قسم الفلسفة ويستطيع الالتحاق باحدى الكليات العلمية كالتجارة والزراعة ان كان نجاحه من قسم الرياضيات . (١)

هذا مع ضرورة جعل ساعتين على الاكثر اسبوعيا في دراسة دينية كالعبادات والتكوين الخلقي والمسلكي عند التلميذ في جميع سنوات التعليم الثانوي وبذلك نحافظ على الروح الاسلامية والاخلاق العالية دون ان نعوق التلميذ عن تكوينه العلمي واعداده للحياة اعدادا عمليا مفيدا .

تعليم البنات

بقي ان اقول كلمة عن تعليم البنت .

ان تعليم البنت عندنا وكذلك عدد المعلمات ومستواهن في التدريس باللغة العربية ضعيف جدا لذلك ينبغي اعطاء عناية خاصة بالبنت وبالمعلمة في وقت واحد خاصة وان نسبة البنات في المدارس قليلة جدا (٢)، فينبغي ان نرفع هذه النسبة الى

---

(١) ان جعل مدة التعليم الثانوي ٧ سنوات فيه ارهاق ، لذلك ارى ان تكون مدته خمس او ست سنوات .

(٢) انظر عددهن في الملحق الخاص بالاحصاء

نفس النسبة التي عند البنين (١) ، حتى نستطيع ان نكون شعبنا تكوينا صحيحا ، لان البنت هي الام في الغد ، والام هي المدرسة الاولى التي تتكون فيها الاجيال ولا ارى مانعا من الاستعانة بمدرسات من الشرق في مواد اللغة العربية وفي التدبير المنزلي وحفظ الصحة والفنون اليدوية الاخرى اذ ان جميع هذه المواد تدرس اليوم في الشرق باللغة العربية .

مقاومة الامية

اما عن مقاومة الامية فان على وزارة المعارف في الغد ان تعد مشروعا واسعا لمقاومة الامية (٢) وان تكون مدة هذا المشروع خمس سنوات فقط . ولعلني استطيع ان انشر بعد مدة مشروعا تفصيليا في كيفية مقاومة الامية .

سادتي الاكارم :

لقد أطلت عليكم كثيرا مع ان الحديث لم يتجاوز تقديم استعراض عام وملاحظات عابرة ، فكيف يكون الامر لو انه كان بحثا دقيقا شاملا ؟

اعتقد اننا الآن نحمل فكرة لا بأس بها عن عدد غير قليل من مشاكلنا التعليمية وفي استطاعة كل واحد منا ان يفكر في حلول كثيرة ولكن العمل الحقيقي ينبغي ان تقوم به لجان مختصة بعد دراسة واقعية ، تراعى فيها كل الحقائق والامكانيات . غير ان اي عمل لا يمكنه ان يتجاوز المباديء الاساسية الثلاث : توحيد التعليم ، تعريبه ، توسيعه .

انني اعتقد ان أدق واخطر وزارة في المستقبل ستكون وزارة المعارف ؛ لان عملها هو روح المستقبل وعماد البعث المنشود . واعتقد كذلك ان نجاحها محقق في اهدافها اذا توفر في سياستها : النظام والخبرة وحسن التصرف .

لقد استطاعت سوريا وكذلك لبنان ان تنهض في ميدان التعليم خلال سنوات قليلة . ولكي تدركوا معنى الحرية ومعنى الاستقلال وأثرهما في تقدم البلاد

(١) وذلك لان عدد الاناث في تونس يساوي عدد الذكور

(٢) انظر بعض المقترحات للمؤلف في كتابه « نداء للعمل » ص ١٠٧

اليكم في النهاية هذه الطائفة من الملاحظات والاحصاءات التي تريكم الفرق بين الحكم الاجنبي وبين الحكم الوطني في فترة وجيزة لا تزيد عن اربع سنوات والملاحظات والاحصاءات منقولة من حولية الثقافة العربية لسنة ١٩٤٩ وهي من وضع المربي العربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري وهو الذي أقام دعائم التعليم في العراق بعد انتهاء الحكم العثماني ثم الانتداب البريطاني واستمر يدير معارف العراق لمدة عشر سنوات اي من سنة ١٩٢١ - الى - سنة ١٩٣١ وتعتبر مدته ازهى فترة في تاريخ معارف العراق .(١) وعند ما توقف الحكم الفرنسي المباشر على سوريا تولى ساطع الحصري الاشراف على تجديد واحياء المعارف في سوريا ، وقد صرح بعض الفرنسيين بان فرنسا لم تخسر سوريا يوم جلت جيوشها عنها وانما خسرتها يوم تولى ساطع الحصري امر المعارف فيها ! ومن هنا تدركون حضراتكم ضرورة التعليم القومي وخطر التعليم الاجنبي او الذي يديره الاستعمار . وفي الملاحظات والاحصاءات التالية ما يؤكد لكم تلك الحقيقة ، قال الاستاذ ساطع حفظه الله :

سوريا ولبنان

اولا - سوريا :

الحكم العربي الاول

« ان انهيار الحكم العثماني في سوريا كان قد حدث بصورة شبه فجائية لان جيوش الثورة العربية تمكنت من احتلال جميع انحاء البلاد بعد شهر واحد فقط من احتلالها لدمشق ، وكان معظم المعلمين في سوريا من الاتراك . فانسحبوا مع الجيش التركي وسائر الموظفين الاتراك ، واما المعلمون السوريون فكانوا قد درسوا في معاهد تركية وباللغة التركية ولم يتمرنوا على التعليم باللغة العربية كما كانت الكتب المدرسية كلها باللغة التركية ،

(١) انظر كتاب « اتجاهات واراء في التربية والتعليم » للدكتور جابر عمر ص ٥٧ - ٦١ او كتاب « حصاد القلم » للمؤلف ص ١٦٣ - ١٦٤

فكان على الحكومة العربية ان تتغلب في ظروف عسكرية ، على هذه المشاكل بسرعة : كان عليها ان تعيد فتح المدارس الرسمية بنظام جديد ولغة جديدة مع زيادة عددها وانواعها واصلاح مناهجها وفق مما تتطلبه حياة الامة الجديدة .

ومعروف ان حكومة الملك فيصل العربية في سوريا لم تعش اكثر من عام وعشرة اشهر فقط ، وهي المدة التي تقع بين دخول جيوش الثورة العربية لدمشق ، ودخول الجيش الفرنسي لها . وبدخوله قضى على الحكم العربي ، وبدأ حكم الاستعمار المباشر . ومع قصر تلك المدة ، وهي دون السنتين ، فانظروا ماذا فعل الحكم الوطني :

أ ـ تعريب كافة المدارس التي كانت موجودة في العهد العثماني .

ب ـ احداث دروس عربية في ادارات الحكومة لتدريب الموظفين على الانشاء العربي ، وتحويل لغة الدواوين من التركية الى العربية .

ج ـ تأسيس المجمع العلمي ، وتأليف لجنة اختصاصية لاختيار الاصطلاحات العلمية ، التي يحتاج اليها المعلمون في تدريس مختلف المواضيع .

د ـ عقد مؤتمر للمعلمين لمناقشة مسائل التربية والتعليم .

هـ ـ احداث دورات تدريبية للمعلمين ، بغية اطلاعهم على أحسن طرق التربية والتعليم .

و ـ تأسيس مجلة التربية والتعليم لارشاد المدرسين .

ز ـ الشروع في تأليف وترجمة الكتب المدرسية وغير المدرسية .

ح ـ تأسيس مدرسة الحقوق .

ط ـ اعادة تأسيس مدرسة الطب العثمانية ، وجعل التدريس فيها باللغة العربية . وهي كلية الطب الوحيدة الآن بين كليات الطب العربية ، التي تتولى تدريس علوم الطب باللغة العربية .

ان هذه الاعمال والاجراءات التي تمت في عهد الاستقلال الاول القصير ، قد وجهت التعليم توجيها قوميا ، وتركت آثارا عميقة ، قاومت السياسة التعليمية التي رسمتها سلطات الاستعمار الفرنسي في عهد الانتداب مقاومة شديدة ،

العهد الفرنسي في سوريا

لقد وضع الفرنسيون بعد ان فرضوا انتدابهم على سوريا مجموعة كبيرة من القوانين والانظمة التي تضمن لهم السيطرة التامة على شؤون التربية والتعليم، وتساعدهم على توجيه تلك الشؤون في الاتجاه الذي تريده اغراضهم السياسية ، واما هذه الاغراض فيمكن تلخيصها فيما يلي :

أ ـ فرض تعليم اللغة الفرنسية على جميع المدارس ، وتنظيم شؤون التعليم وفق الاساليب الفرنسية تماما .

ب ـ وضع ثقافة البلاد تحت احتكار الثقافة الفرنسية احتكارا مطلقا .

جـ ـ تكثير المدارس الفرنسية ، مع تشجيع إقبال الناس عليها ، دون اخضاعها لمراقبة الحكومة السورية .

وتلاحظون أيها السادة ان هذه الاغراض الفرنسية في سوريا هي أقل بكثير من اغراضهم الاستعمارية في تعليمنا . ومع ذلك ، فكما قاومنا نحن في تونس اغراض الاستعمار الثقافي واساليبه ، وثرنا عليها ، قاومها السوريون وثاروا عليها ايضا . وعندما اوشكت سوريا عام ١٩٤٤ ان تظفر باستقلالها التام، حاولت فرنسا قبل ان تتخلى عن الانتداب ان تفرض على سوريا معاهدات ثقافية واقتصادية وعسكرية ، تحفظ لها مركزها في سوريا ، واهتمت بوجه خاص بالمعاهدات الثقافية ، ووضعت مشروعا مفصلا يرمي الى ادامة الاوضاع الممتازة التي كانت اكتسبتها خلال سني الانتداب. ولا يستبعد ان يكون هذا المشروع هو نفسه الاتفاقية الثقافية الاخيرة بين فرنسا وتونس . غير ان الحكومة السورية رفضت المشروع واحتفظت لنفسها بحق تنظيم شؤون معارفها كما تشاء دون ان تعترف للغة الفرنسية والمعاهد الفرنسية بامتياز خاص . لذلك اصدرت الحكومة السورية في ١٢ جانفي ١٩٤٤ قانونا خاصا لتنظيم شؤون المعارف السورية ، والغت جميع القوانين والانظمة الفرنسية القديمة .

هذا ومما تجب الاشارة اليه ان سلطات الانتداب كانت قد وضعت لمدارس

جبل العلويين ، وجبل الدروز ، انظمة ومناهج خاصة ، كما ان مناهجها كانت اكثر خضوعا للاغراض الاستعمارية . غير ان الحكومة السورية الغت ذلك كله وقامت بتوحيد مناهج المدارس في جميع اقسام الجمهورية السورية . وهذه ارقام تبين ما قطعته حكومة سوريا في عهد الاستقلال ومن سنة ٤٤ الى ٤٨ فقط ، اي في اربع سنوات مدرسية :

كان عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية عام ٤٤ (٨٠٠ ، ٧٦) فصار في عام ٤٨ (٢٢٧ ، ١٣٨) ، وهذا يعني ان الزيادة في اربع سنوات قد بلغت (٤٢٧ ، ٦١) اي بنسبة ٨٠ ٪ ، وهذه الزيادة تعادل ما تم من الزيادة خلال جميع سنوات الانتداب التي تزيد عن خمسة وعشرين سنة . !

اما مجموع تلاميذ المدارس الثانوية الرسمية عام ٤٤ ، فكان عند انتهاء الانتداب (٨٩٠ ، ٤) فصار في العام الدراسي ٤٧ - ٤٨ (٣٨٠ ، ١٣) ، وهذا يعني ان تلاميذ التعليم الثانوي ، قد زاد عددهم خلال اربع سنوات (٤٩٠ ، ٨) اي بنسبة ٦ ، ١٧٣ ٪ ، وهو ما يعادل ضعف الزيادة التي حصلت خلال سنوات الانتداب الخمس والعشرين .

كذلك ارتفع عدد طلاب دور المعلمين من (٧٦) طالب فقط عام ٤٤ الى (٤٦٥) عام ٤٨

وكذلك ارتفع عدد طلاب الجامعة السورية في المدة نفسها من (٦٩٤) الى (٢٢٢١) ، وهذا يعني زيادة (١٥٢٧) اي ان الزيادة كانت بنسبة ٢٢٠ ٪. وهي تعادل ثلاثة اضعاف الزيادة التي تمت خلال عهد الانتداب كله »(١) . ولا تنسى هنا انشاء معهد عال للمعلمين . وملاحظة ان هذه الارقام خاصة بالمدارس الرسمية فقط ، مع ان المدارس الاهلية تلعب دورا مهما في تقدم البلاد التعليمي .

هذا ، ولا اشك في ان امثال هذه الارقام والمفارقات قد تكررت وتضاعفت منذ عام ٤٨ الى اليوم . ومع أنني لا املك احصاءات دقيقة رسمية في الموضوع ،

(١) عن حولية الثقافة العربية : السنة الاولى ص ٧٧ - ٧٩ بتصرف .

الا انني اعلم علم اليقين ان جميع الاطفال المتأهلين للتعليم وكذلك المحرومين منه في سوريا قد تم الحاقهم بالمدارس على حساب الحكومة (٢) . وهذا العمل ، قد تلقت عليه حكومة سوريا عام ٥٢ شكرا حارا من منظمة اليونسكو ، التي لاحظت ان سوريا هي اول دولة في العالم فعلت ذلك . وهنا نلاحظ بان هناك فرقا بين الاطفال المتأهلين للتعليم ، وبين الاطفال المحرومين منه . فالمتأهلون له هم الذي بلغوا حديثا السن القانونية لدخول المدرسة ، ام المحرومون منه ، فهم الذين تجاوزوا السن القانونية ، ولم يجدوا فرصة الالتحاق به . فكيف يكون الحال عندنا ، وفي بلادنا اكثر من نصف مليون طفل محروم من التعليم ؟ !

ثانيا ـ لبنان :

واخيرا هاكم موجزا عن لبنان ايضا ، وهو القطر العربي الثاني الذي تحرر من الاستعمار الفرنسي . ورغم ان لبنان كان يتمتع بامتياز خاص في التعليم منذ الحكم العثماني ، بسبب كون نصف سكانه تقريبا من العرب المسيحيين ، ورغم ان المعاهد الحرة والاجنبية تحمل اعباء كبيرة في التعليم خاصة ، الثانوي والعالي ، كما سبقت الاشارة الى ذلك ، فان التطور الذي حدث خلال اربع سنوات ايضا من انتهاء الحكم الاجنبي يرينا بوضوح مقدار التقدم الذي تبلغ اليه البلاد اذا تولى ابناؤها شؤونها بانفسهم .

في عام ٤٤ كان عدد المدارس الابتدائية في لبنان (٤٠٨) مدرسة بها (٢٦٦٦٢) تلميذا . وفي عام ٤٨ اصبح عدد المدارس الابتدائية الرسمية (٦٣٧) وزاد عدد تلاميذ المدارس المذكورة الى (٥٤٦٦٢) . وهذا يدل على ان الزيادة تجاوزت الضعف في عدد التلاميذ

ونلاحظ هنا ، انه الى عام ٤٤ ، لم تكن في لبنان مدرسة واحدة ثانوية او عالية تنفق عليها الحكومة ، بل كان التعليم الثانوي يقوم على كاهل المدارس الاهلية الثانوية ، وكان التعليم العالي يقوم على كاهل الجامعة اليسوعية الفرنسية ، والجامعة

(٢) انظر احصاءات جديدة عن سوريا في الملاحق .

الامريكية . ولكي تدركوا مقدار المساهمة العظيمة التي يبديها الشعب في لبنان في ميدان التعليم ، هاكم هذه الارقام :

في التعليم الابتدائي عام ٤٨

مدارس رسمية (٦٣٧) مدارس اهلية (٨١٩) مدارس اجنبية (٢٧٥)

المجموع ١٧٣١

اما عدد التلاميذ فهو كالآتي :

في المدارس الرسمية (٥٤٦٦٣)

في المدارس الاهلية (٦٨٩٤٧)

في المدارس الاجنبية (٤٨٧٩٤)

المجموع (١٧٢٤٠٤)

هذا مع ملاحظة ان عدد سكان لبنان عام ٤٨ هو ١٫١٦٥٫٢٠٨ نسمة

اما توزيع التلاميذ على مراحل التعليم الثلاث فهو كالآتي عام ٤٨ -

	بنون	بنات	المجموع
في الابتدائي	٨٥٫٨٩٦	٥١٫٥٥٩	١٣٧٫٤٥٥
الثانوي	٢٠٫٦٧٣	٩٫٣٢٧	٣٠٫٠٠٠
مهن	٧٦٨	١٨١	٩٤٩
عالي		مختلط	٤٠٠٠

هذه أيها السادة نهاية الحديث ، ولعلكم مقتنعون معي ، باننا نستطيع ان نقفز الى الامام بسرعة ، وان نحقق اهدافنا كاملة اذا نحن أقمنا تعليمنا على الدعائم التالية :

١ – توحيد التعليم في مدة اقصاها خمس سنوات

٢ – تعريب التعليم في مدة اقصاها خمس سنوات ايضا

٣ – توسيع التعليم في مدة اقصاها خمس سنوات كذلك

٤ – مقاومة الامية في مدة اقصاها خمس سنوات

ان اعتماد مشاريع السنوات الخمس ، أحسن وسيلة للنجاح ، وقد جربت في كثير من اقطار العالم فاتت باحسن النتائج .

أيها السادة .

وختاما أعلن ، ان جميع ما سمعتموه في هذا الحديث ، ليس الا مجموعة آراء وملاحظات ومقترحات تدور حول تعليمنا الحاضر وفي المستقبل . وبعض ما جاء في هذا الحديث قد وضعه او ارتأه باحثون آخرون من قبل ، على نسب وظروف مختلفة ، اما الباقي فمن رائي الشخصي ، والكل انا مقتنع به الآن ، والا لما عرضته عليكم ، وساظل مقتنعا به الى ان ياتيني خلافه باقناع جديد . والمهم دائما ليس صاحب الفكرة بل الفكرة ذاتها والغاية التي تهدف اليها . وليس لاحد ان يرجم بالغيب ، ولا ان يدعي العصمة ، مهما كانت درجة ايمانه وحدود اقتناعه بارائه فقد كان الرسول ـ وهو لنا جميعا إسوة حسنة ـ فقد كان الرسول محمد وما ادراكم ما الرسول محمد ، يجادل المشركين فيقول لهم بلسان القرآن : (وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين) . وهو نموذج مثالي رفيع لاحترام الفكر والرأي ، مهما كانت ثقتنا بانفسنا ، وصحة ما نملكه من حجج وبراهين .

او لم يكن الرسول يعلم انه على حق ، وان مخاطبيه في ضلال مبين ؟ فلم هذا الاسلوب الرائع ، الذي يخاطبهم به ؟

ان اعظم قواعد حرية الرأي ، ومناهج البحث في جميع الميادين ، التي وصلت اليها البشرية ، في عصر الذرة واقتحام السموات ، لا يمكن ان يكون ارفع او اشمل او اصدق من قول القرآن للرسول في أية سماوية خالدة :

(وجادلهم بالتي هي احسن)

وهو ما ينبغي ان يكون شعارنا في كل الميادين ، سيما في هذه المرحلة الدقيقة التي يمر بها شعبنا ، ويحاول ان يتخلص فيها من عصور الظلام والعبودية التي كبلته ثلاثة ارباع القرن ، وجعلت مواهبه وحياته وثرواته يمتصها سرطان الاستعمار

ولنذكر اخيرا ، انه ليست العبرة في ان يحب المرء وطنه فقط ، بل ان يبذل شيئا من اجله .

ولنذكر كذلك ، ان ذرة واحدة من العمل ، هي أقيم واجدى للشعب من عالم من الوعود .

ملحق رقم (١)

جـواب استفتاء

مـا هو مستقبل الثقافـة ؟

يحتاج هذا السؤال الى ايضاح وتحديد ادق مما هو عليه . ذلك ان السؤال عن مستقبل «الثقافة» باطلاق يحتمل دلالات كثيرة لا تخلو من التباس. لهذا أود ان اتجنب ذلك بتحديد الجواب عن مستقبل « الثقافة القومية » بناء على ان لكل شعب حي شخصية متفردة تعبر عن نفسها بثقافة قومية ذات طـابع متميز ، تدل على روح ذلك الشعب وعقليته ومثله العليا وايضا عبقريته . ويبدو ان واضع السؤال لم يفته ذلك إذ انه نعت «الثقافة» بالقومية عند عرضه للسؤال الثـاني .

وبصرف النظر عن المعنى المقصود هنا من كلمة « القومية » فان هـذا السؤال يثير مشاكل كثيرة لا يتسع المجال هنا لعرضها او حتى الاشارة اليها . وقد ادرك واضعو هذا السؤال خطورة هذه المشاكل التى يثيرها ، فجعلـوا سؤالهم الثاني يدور حول مقومات الثقافة القومية . وهنا لا اجد مناصا من توجيه اعتراض على صيغة الاسئلة وعلى ترتيبها . فقد كنت اود لو انها كانت على الوجه التـالى :

١ — ما هي مقومات الثقافة القومية ؟
٢ — هل عندنا ثقافة قومية .. ؟
٣ — ما هو مستقبل الثقافة القومية لبلادنا ؟ الخ

أن هذا الترتيب لا يحدث تغييرا جوهريا الا باضافة السؤال الثاني منه ، لهذا احب ان اجيب عن سؤاله الاول ، الذي هو نفس السؤال الثاني في الاستفتاء :

ان اول مقوم لاي ثقافة هو « اللغة القومية » اذ لا يمكن لاي ثقافة ان تبرز وجودها ، وتحدد كيانها بين الثقافات الاخرى ، الا اذا عبرت عن نفسها بلغة خاصة . وبالنسبة لنا في تونس فان لغة ثقافتنا ، كانت ، وينبغي ان تكون دائما هي العربية . ولكن هل تستطيع اللغة العربية كما هي شائعة في بلادنا اليوم بل وفي تعليمنا ان تنهض باعباء المسؤليات الجسام لثقافتنا القومية كما نهضت بها في اقطار الشرق العربي ؟. ان هذه المشكلة قد اثارها سؤال الاستفتاء الاخير والذي قبله ، بصورة غير مباشرة .

والمقوم الثاني هو انتاج تلك الثقافة الفكري والادبي بوجه عام ، اي مجموعة تراثها الدائم . ونلاحظ هنا ان الادب هو المجال الخصيب الذي تظهر فيه بوضوح كبير شخصية اي شعب وطابع ثقافته الخاص .

والمقوم الثالث ، هو مجموعة القيم والمثل الاخلاقية والاجتماعية الخاصة ، التي تعمل تلك الثقافة على تحقيقها في مجتمعها القومي ، وفي المجتمع الانساني العام

اما المقوم الرابع فهو الطابع الخاص الذي تتميز به كل ثقافة عن غيرها ، وهو ما يتصل بعقلية منتجي تلك الثقافة . وبالمجرى الانساني الذي تسير فيه، وكذلك في نوع الابداعات التي تعبر بها عن نفسها .

والمقوم الخامس هو قابلية التطور والنمو ، والتفاعل والعطاء الدائم .

ان هذه المقومات اساسية لتكوين شخصية مستقلة لاي ثقافة قومية . والثقافة العربية المعاصرة بهذا المفهوم موجودة فعلا على الرغم من عوامل الضعف التي تبدو في كيانها العام ومعطياتها المختلفة . وبرغم عديد المشاكل والازمات التي تعانيها في الوقت الحاضر ، والتي أعتبرها مخاضا طبيعيا لمختلف التيارات الفكرية والاجتماعية التي تمر بها مجتمعات هذه الثقافة .

والمهم هنا هو نصيبنا نحن من ذلك كله ، ومدى قوة ما عندنا منه . لنتبين قدرته على تحمل اعباء المستقبل المنتظر وتحقيق اهدافه الكثيرة والكبيرة ايضا .

مما لا شك فيه أن عندنا ثقافة قومية خاصة، ولكنها بوجه عام في حالة سيئة من الضعف والانحلال والانكماش والجمود . غير ان ذلك لا ينبغي ان يدفعنا الى اليأس وتجسيم الصعوبات وتهويلها ، الى حد قد يحمل بعض الراغبين في الطريق السهل على تغيير الاتجاه والسير وراء هدف آخر ، بات من المؤكد ان مناعتنا لا تستطيع ان تدفع عن كياننا خطر الذوبان فيه .

وهكذا نجد انفسنا امام مشاكل كثيرة لا يستطيع هذا الاستفتاء المحدود ان ينهض بها جميعا ، كما لا تستطيع هذه العجالة ان تعرض او تشير بعضا منها . غير انني مع ذلك ، مطمئن ومتفائل بمستقبل ثقافتنا القومية واني لاكاد المح خطوط هذا المستقبل واتجاهه من الآن . ولئن كنت لا استطيع ان افصل ذلك تفصيلا ، فانني استطيع ان اعرض في اجمال قواعد ارتكاز هذا المستقبل :

١ – انتشار التعليم وازدياد عدد المثقفين .

٢ – شعور النخبة بالاخطار المتربصة بنا ، وبشتى مظاهر شخصيتنا ، كمجموعة تريد ان تحيا حرة مستقلة ، وان تحافظ على مركزها وتراثها وتبني مستقبلها بنفسها .

٣ – ان المجرى التاريخي الذي سنسير فيه مع المستقبل – بطبيعتنا – قد تدفقت فيه ينابيع زاخرة بالحياة والامل ، لا تستطيع كافة القوى الرجعية او العدوانية ان تجعلها تنضب او تقف عن السير نحو اهدافها .

٤ – وجود امكانيات محلية جيدة للانتاج والمساهمة، وهي تتمثل بالخصوص في هذه النخبة التي يزداد عددها باستمرار وهي تعمل لبناء هذا المستقبل ورفع دعائمه الشامخة .

٥ – قوة الوعي السياسي والاجتماعي في جماهير شعبنا ، مما يمنع خطط التهديم والعرقلة التي قد توضع في الطريق .. طريق السير نحو هذا المستقبل .

س : كيف ترون بقاء الفرنسية في التعليم ؟

اننا اذا كنا نريد ان نحافظ على مقومات ثقافتنا القومية فينبغي ان نحافظ على لغتنا ، وان نعمل على تيسير تعليمها وتطويرها ، بحيث يكون في استطاعة المتعلمين لها ان يعبروا عن خواطرهم ومقاصدهم ، وعن معاني الفكر والحضارة المعاصرة بكل بساطة وسهولة . واعتقد ان هذا ممكن ، وقد تيسر جانب كبير منه في البلاد التي تجيش في نفوس ابنائها نفس الرغبة التي نتطلع نحن الى تحقيقها

وهذه المحافظة على لغتنا تحملنا على اعطائها المقام الاول في مختلف نواحي حياتنا . وهذا لا يتم الا بجعلها لغة التعليم في كافة العلوم ولجميع مراحل التعليم .

ومن هنا يكون بقاء اللغة الفرنسية ، وغيرها من اللغات الاجنبية بقاء تعليميا فحسب . اي ان تدرس الفرنسية كلغة ثانية بعد اللغة القومية . على ان يعطى لها المقام الاول بين مجموعة اللغات غير القومية المقررة في برنامج التعليم ، وهذا يمكن تحقيقه على الوجه التالي :

١ – مرحلة التعليم الابتدائي ، تكون كلها باللغة العربية .

٢ – مرحلة التعليم الثانوي ، تقسم الى درجتين : الاولى اربع سنوات ، وتكون فيها الفرنسية اجبارية كلغة ثانية بعد العربية (١) والدرجة الثانية ، ثلاث سنوات ايضا وتستمر فيها الفرنسية بنفس الاعتبار ، مع وجوب تعلم لغة اخرى يختارها الطالب من ثلاث لغات هي ، الانكليزية ، والالمانية والايطالية ، مع ملاحظة ان جميع مواد التعليم الثانوي تكون باللغة العربية . اما مشكلة الكتب ومشكلة المدرسين الاكفاء الذين سينهضون باعباء البرامج الجديدة والكتب الجديدة . فيمكن حلها بسهولة سواء عن طريق الاعداد والانتاج المحلي السريع . او عن طريق الاستعانة بكتب وبرامج واساتذة من الشرق عند اللزوم .

(١) ان السبب الذي دعاني الى جعل اللغة الفرنسية لغة اجبارية بعد اللغة العربية في هذه المرحلة ، هو سبب فني مستمد من الواقع ، ذلك ان حاجتنا من المعلمين لهذه اللغة يمكننا سدها من ابنائنا بينما لا يمكننا ذلك بالنسبة لاية لغة اخرى في حالة اتخاذها لغة ثانية بعد العربية .

٣ – مرحلة التعليم العالي : وهذه تاخذ فيها الفرنسية المكانة الاولى بعد اللغة القومية ، الا في فروع الاختصاص العلمي . فتكون هي لغة ذلك الاختصاص خلال مدة انتقالية لا يمكن ان تزيد عن عشر سنوات ، وفيها تتهيأ امكانيات اللغة القومية في تلك الميادين .

وينبغي ان نستفيد في كل مراحل التعليم عندنا بتجارب الاقطار العربية التي سبقتنا في هذا المضمار .

س : ما هي الوسيلة التي بها ينسجم التعليم الزيتوني مع التعليم المدرسي؟

ليس من وسيلة تحقق وحدة ثقافتنا القومية . غير توحيد مناهج الدراسة في كافة المؤسسات والمعاهد العلمية . وجعلها تسير منسجمة وفق خطة واحدة . وهادفة الى غاية واحدة . هي تكوين المواطن الصالح . المعتمد على ثقافة عصرية تقدمية والمعتز بتراثنا القومي .

وسأنشر قريبا نص مشروع مقترح لتعريب التعليم في مرحلتيه الابتدائية والثانوية . ولتوحيد مناهجه وسياسته واهدافه التربوية . (١)

وارجو ان يزداد تعاون الاقلام والمثقفين البصيرين في بلادنا على دراسة ميادين الثقافة والتعليم . وما يتصل بهما من قضايا ومشاكل ، فان في ذلك سدا لفراغ كاد يبتلع وجودنا نفسه، ودفعا لاخطار تكاد ان تقضي على كياننا وتمحو شخصيتنا (٢)

(١) ان في هذه المحاضرة التي احتواها هذا الكتاب انجازا لقسم كبير من هذا الوعد

(٢) نشر هذا المقال في العدد الخاص بالثقافة من مجلة « الندوة » نوفمبر ١٩٥٤

ملحق رقم (٢)

للمقارنة

حسب احصاء ٥١ ـ ٥٢

القطر	مجموع السكان العرب	عدد التلاميذ (*)		المجموع
		بنون	بنات	
تونس	٣ر٢٥٠ر٠٠٠	١٠٤٤٥٧	٢٦٥٧٥	١٣١٠٣٢(١)
سوريا	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٥١٢٩٧	٩٣٨٧٥	٣٤٥١٧٢
لبنان	١ر١٦٥ر٠٠٠	١٤١٦٥٢	٨٨٥١٥	٢٣٠١٦٧

توزيع التلاميذ

على مراحل التعليم

القطر	التعليم الابتدائي		الثانوي		المهني		العالي	
	بنون	بنات	بنون	بنات	بنون	بنات	بنون	بنات
تونس	٩٦٢٧٧	٢٣٥٥٦	٤٣٣٠	٤٠٥	٣١٠٣	٢٥٩٨	٧٤٧	١٧
سوريا	٢١٤٦٨٤	٨١٥٠١	٣٢٣٣٨	١٠٢١٣	١٥٨٧	٢١٢	١٩٠٣	٥٠١
لبنان	١١٠١٧٢	٧٣٣٦٧	٢٦٢٥٢	١٢٥٦٧	٢٠٥٦	١٩٣٨	٢٧٧٢	٥٩١

(*) لا تشمل هذه الارقام تلاميذ الكتاتيب . وتشمل المدارس الحرة والخاصة والقرآنية

(١) لم يدخل في هذا الرقم طلاب الزيتونة وعددهم (١٤) الفا .

ملاحظة :

هذه الجداول ، ماخوذة بتصرف بسيط عن حولية الثقافة العربية : السنة الثالثة ١٩٥٣ وضع الاستاذ ساطع الحصري . ويحسن بالمهتمين بشؤون التعليم ان يطالعوا حلقاتها ، خاصة الثانية والثالثة .

التعليم المدرسي بتونس ١٩٥١ - ١٩٥٢

مجموع التلاميذ في :	التونسيون العرب			بقية طوائف السكان		
	الذكور	الاناث	المجموع	الذكور	الاناث	المجموع
التعليم الابتدائي :						
المدارس الفرنسية	٤٦٦٧	٤٣٣١	٨٩٩٨	٢١٩٤٧	١٩٦٦٠	٤١٦٠٧
« العربية الفرنسية	٦٥٥١٩	١٥٠٠٢	٨٠٥٢١	٦٢٨	٢٣٨	٨٦٦
« القرآنية العصرية	٢٤٧٩٢	٢٧٠٥	٢٧٤٩٧			
« الابتدائية الخاصة	١٢٩٩	١٥١٨	٢٨١٧	٢١٥٠	٤٠٠٧	٦١٥٧
المجموع	٩٦٢٧٧	٢٣٥٥٦	١١٩٨٣٣	٢٤٧٢٥	٢٣٩٠٥	٤٨٦٣٠
التعليم المهني :						
الدرجة الابتدائية	٢٤٩٤	٢٥٤٨	٥٠٤٢	١٠١٢	١٦١٩	٢٧٣١
الدرجة الاعلى	٥٨٩	٤٧	٦٣٦	١٥٨٣	١١١٥	٢٦٩٨
المدارس المهنية الخاصة	٢٠	٢	٢٢	٩٩	٢٠٠	٢٩٩
	٣١٠٣	٢٥٩٧	٥٧٠٠	٢٦٩٤	٢٩٣٤	٥٧٦٨
التعليم الثانوي :						
الكلاسيكي	١٥١	٤٦	١٩٧	١١٣٠	١٢٥٧	٢٣٨٧
العصري	١١٥٧	١٩٥	١٣٥٢	٢٣٠٤	١٨٢٣	٤١٢٧
التونسي (العربي)	٢٩٧٩	١١٩	٣٠٩٨	١٠		١٠
الثانوي الخاص	٤٣	٤٥	٨٨	٦٦٢	١٠٢١	١٦٨٣
المجموع	٤٣٣٠	٤٠٥	٤٧٣٥	٤١٠٦	٤١٠١	٨٢٠٧
التعليم العالي	٧٤٧	١٧	٧٦٤	٥٣٢	٢٩٩	٨٣١
المجموع العام	١٠٤٤٥٧	٢٦٥٧٥	١٣١٠٣٢	٣٢١٥٧	٣١٣٣٩	٦٣٤٩٦
مجموع المدارس الرسمية	٧٨٣٠٣	٢٢٣٠٥	١٠٠٦٠٨	٢٩١٤٦	٢٦١١١	٥٥٢٥٧
مجموع المدارس الخاصة	٢٦١٥٤	٤٢٧٠	٣٠٤٢٤	٣٠١١	٥٢٢٨	٨٢٣٩

ملحق رقم (٣)

طريق المستقبل (*)

١ ـ اعتبار اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة في كافة مراحل التعليم وجميع مرافق الدولة .

٢ ـ توحيد جميع المؤسسات والمعاهد العلمية وكافة البرامج التي تطبقها تلك المعاهد في بلادنا .

٣ ـ جعل البرامج التعليمية المقبلة في كافة مراحل التعليم تهدف الى « تكوين المواطن الصالح المعتمد على ثقافة عصرية تقدمية ، والمعتز بتراثنا القومي » .

٤ ـ ايجاد عدد كبير من المدارس المهنية الفنية ، كالصناعة والتجارة والزراعة

٥ ـ ضمان الاختصاص المهني ، في ميادين الدراسة من جهة ، وفي ميادين العمل والوظيف من جهة اخرى

٦ ـ اعطاء البنت جميع فرص التعليم ، واعدادها لتكون عضوا نافعا في المجتمع مع حمايتها اجتماعيا واخلاقيا واقتصاديا .

٧ ـ الاكثار من رياض الاطفال واعداد المشرفين عليها اعدادا تربويا خاصا

٨ ـ توسيع نطاق التعليم الثانوي بحيث يشمل جميع الراغبين في الالتحاق به سواء في المدارس المهنية او العلمية .

٩ ـ العمل على تحقيق الجامعة التونسية الحديثة .

١٠ ـ توسيع نطاق البعثات العلمية للشرق والى الغرب ، مع تقديم كل التسهيلات والاعانات لطلابها ، كالقروض وغيرها وتنظيم الاشراف عليها في الداخل والخارج

(*) هذه البنود «١٥» هي خلاصة تقرير رفعه الى الاتحاد العام التونسي للشغل كل من المؤلف والاستاذ احمد صوة خلال شهر نوفمبر ١٩٥٤ ، ثم نشر بعد ذلك بجريدة الصباح ٧ ـ ١ ـ ٥٥

١١ - الاعتراف بالشهادات الشرقية اعترافا اداريا وعلميا كاملا بحيث تتساوى في كافة الحقوق والواجبات والامتيازات التي تتمتع بها مثيلاتها المعطاة من الغرب .

ونلفت انظاركم هنا الى ان هذه القضية تقابل بالاهمال والتسويف وعدم الاكتراث من الدوائر الرسمية ، مع انها تتصل بمستقبلنا الثقافي اتصالا مباشرا .

١٢ - مراقبة جميع المؤسسات العلمية الاجنبية الموجودة في بلادنا في برامجها وطريقة المعاملة التي تعامل بها ابناءنا المنتسبين اليها .

١٣ - الضرب على ايدي جميع المتجرين بالعلم والمستغلين لاحتياج شعبنا العلمي سواء عن طريق المدارس او عن طريق الكتب .

١٤ - الاهتمام الخاص بكل ما يتصل بالتاليف المدرسي أو النشر العام ، كالصحافة والاذاعة والسينما والمسرح .

١٥ - العناية الفائقة بمؤسسات الشباب وتقديم جميع التسهيلات والمساعدات لجميع انواع نشاط الشباب . الثقافي والرياضي والاجتماعي .

ملاحظات

لاحظ أيها القارىء في الجداول السابقة تكديس العرب في التعليم المهني العادي الذي لا يخرج فنيين ولا يكون خبراء ، وتكديس الاجانب في الثانوي وفي المهني الراقي والعالي . ولاحظ كذلك تساوي عدد البنين والبنات تقريبا بالنسبة للاجانب ، ولاحظ الفرق الشاسع بينهما بالنسبة للعرب ، ثم عد الى تفسير ذلك في ص ١٨ من هذا الكتاب لتدرك خطر الاستعمار الثقافي .

تصويب

ص	س	خطأ	صواب
٣	٣	١٤ - ٩ - ٥٥	١٤ - ١٠ - ٥٥
٣	٢٢	ولا كل خير	ولا كل شر

كرو ، أبو القاسم محمد
التعليم التونسي بين الحاضر والمستقبل
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01023711